8me Année No. 354 — Lundi - 15 - 4 - 1940

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٣٥٤ « القاهرة فى يوم الاثنين ٧ ربيع أول سنة ١٣٥٩ — الموافق ١٥ أبريل سنة ١٩٤٠ » السنة الثامنة

الفهـــرس

العقيدة الساذجة

تلك هى عقيدة الكثرة الكاثرة من مسلمى اليوم ! وربما كان الأشبه بالحق أن نصفها بشر من السذاجة ؛ فإن أيلولة الدين فى نفوس أهله إلى هذا القدر العامى من العبادة الشكلية ، والزهد الكاذب ، والتفويض الذليل ، والورع المنافق ، والتصوف المشرك ، هى الفساد بعينه . وماذا بعد أن ترى كتاب الله وسنة رسوله يقرآن لالتماس البركة لا لاكتساب الفقه ، ودستورَ الإسلام وفلسفة وحيه يدرسان لمجرد العلم لا لإرادة العمل ؟

وماذا بعد أن ترى الأحكام والآداب والأنظمة التى أصلحت الأرض ومدنت الخليقة ، تصبح فى الجوامع والمجامع رهبنة وشعبذة لا يستقيم عليها فرد ولا تنتظم بها جماعة ؟

لقد كان من أثر فساد العقيدة فى النفس أن فسدت آثارها فى الناس ؛ فالفقه فى الدين تفيهق وجدل ، والصلاح فى الدنيا تبطل وفشل ، والعبادة مظاهر آلية لا أثر فيها للروح ولا صلة لها بالقلب ، والأخلاق مياسم وراثية تنطق بالحق على ذلة الماضى وجهالة السلف ، والمعاملة ألاعيب اجتماعية تخادع الله وتزعم لنفسها الرضى والسكينة !

تذكر معنى الزكاة فى دين الله ثم قل لى أين منها ما كان

يصنع أحد شيوخ الأزهر وقد كان يملك في القاهرة شوارع بما عليها من البُنى عن شمال ويمين ؟ لقد حدثوا أنه كان يجعل زكاة ماله كلما حال الحول في قفة ؛ ثم يغطي الذهب والفضة بطبقة من الحنطة ؛ ثم يأمر فيأتونه بأحد المساكين الذين يتكففون على حاشية الطريق ، فإذا أدخل عليه قال له :

« هذه زكاتنا يا رجل آثرناك بها ابتغاء مرضاة الله »

فيدعو المسكين ويهم بأخذ القفة ؛ ولكن الشيخ قارون يريد أن يخفف عنه ويختار له، فيبادره بقوله : «وماذا تصنع بها يا رجل وليس عندك من تطحن وتعجن وتخبز ؟ أتبيعني إياها بكذا قرشاً ؟ » فيلهج المسكين بالدعاء ، ويبالغ في الحمد والثناء ، ثم ينصرف بالقروش وتعود مئات الدنانير المروّعة آمنة إلى صدر الخزانة الحنون !

تدبر فكرة الصدقة الجارية في سنة الرسول ثم أخبرني أمنها ذلك البناء المربّع الذي أقامه أحد القضاة المتقين في وسط شارع حسن الأكبر، ثم أجرى في قلبه الماء ، وأوقد على رأسه النور ، ووقف على نفقته المال، وجعله مورداً للسابلة فكان مزرعة للجراثيم ومصدمة للناس !

تصور حكمة الإنفاق في سبيل الله على قواعد الدين الذي شُرع ليضمن للفرد السعادة وللأمة السلامة وللبشرية الألفة ، ثم تعال أنقل إليك ما روته (الدستور) في يوم الاثنين الماضي عن مراسلها ببغداد :

كان من ضيوف العراق لعامين مضيا الزعيم الشمعي الهندي السردار طاهر زين الدين ، وهو من أنداد أغا خان في الزعامة المقدسة والثروة العريضة ، فلما زار ضريح الإمام عليّ رضوان الله وسلامه عليه ، نشأ في نفسه أن يقيم للخليفة الراشد ضريحاً يكون مضرب الأمثال على تعاقب الأجيال في نفاسة المادة وبراعة الصنعة وضخامة النفقة . ولم يكد يرجع إلى الهند حتى استحضر أمهر الصناع وأقدر الفنانين وتقدم إليهم بما أراد ، ووصل أيديهم بكنوزه العجيبة ، فصنعوا ضريحاً من الآبنوس سُمكه إحدى عشرة قدماً وقطره عشرون ، ثم زخرفوه بروائع النقش الهندي ، وغشوه بخمسة عشر رطلاً من صفائح الذهب وبمثلها من سبائك الفضة حتى بلغت تكاليفه اثنين وأربعين مليون جنيه على ما روى المراسل ، أو اثنين وأربعين مليون رُبيّة على ما أرجح !

هل قرأت ؟ إثنان وأربعون مليون جنيه كميزانية مصر ، أو اثنان وأربعون مليون ربية كميزانية العراق، تنفق في مقصورة تقام على ضريح الإمام الزاهد المجاهد الشهيد علي كرم الله وجهه !

فهل تحسب أن هذا المؤمن الساذج قد بلغ بما أنفق مكانة الزلفى من الله وموضع الرضا من إمامه؟ لا والله ! إن الله الذي يقترض من عباده القرض الحسن ليضاعفه لهم لا يقبل هذا القرض العقيم ، وإن الإمام الذي كان يطوي الأيام ليطعم على حب الله المسكين واليتيم والأسير لا يرضى هذا الإحسان الميت . لو كان هذا الغني الأمي صحيح الفقه في الدين ، واسع الأفق في الفكر ، بعيد النظر في الإصلاح ، لعلم أن علياً كان سيف الإسلام ولسان الدعوة وإمام القضاء، فكان خير ما يتقرب به إليه أن يعطي حكومة العراق هذه الملايين لتنشئ بها أسطولاً جوياً في بغداد على حب فاتح خيبر، ومعهداً علمياً في الكوفة على ذكر صاحب نهج البلاغة

* * *

لذلك وشبهه يكون القرض حسناً والإحسان جميلاً يا سيدي الزعيم . أما أن تصفح الضريح بالذهب والفضة، وترصعه باللؤلؤ والجوهر — وفي وطن الإمام الفقيرُ الذي لا يجد القوت، والمريض الذي لا ينال الدواء ، والجاهل الذي لا يستطيع التعلم ، والجندي الذي لا يملك السلاح — فذلك فن من العمل الباطل لا يليق أن يجترح باسم الدين في سبيل إمام أمته وقطب أبطاله !

* * *

لقد قرأت في أنباء اليوم أنهم فضوا وصية المحامي الأمريكي اليهودي صموئيل أونترماير منذ أيام فإذا به يوصي بجزء عظيم من تركته الضخمة لبضع جامعات أمريكية ؛ ثم كان نصيب الجامعة العبرية في القدس منها مائة ألف دولار !

فليت شعري متى يعلم هذا الذي ينفق دماء الشهداء على ملاهي القصور ، وذاك الذي يبذر أموال الأحياء على شواهد القبور ، أن الحياة من غير إحسان موت ، وأن الإحسان في غير موضعه إساءة !

احمد حسن الزيات

بابر

للدكتور عبد الوهاب عزام

[بقية ما نشر في العدد الماضي]



محمد ظهير الدين بابر
مؤسس الدولة المغولية في الهند

— ١ —

لم تخضع الهند لبابر بعد موقعة بانيبات فقد بقي أخو السلطان إبراهيم مطالباً بالملك والبلاد كارهة غارة بابر، وكثير من المدن والقلاع متأهبة للدفاع، وكادت جيوش بابر تهلك جوعاً على كثرة ما بأيديها من الغنائم، وزاد حالهم سوءاً شدة الحر. نقرأ في بابرنامه هذه السطور: « لما جئت إلى أكركان وقت الحر وكان الناس قد فروا من الخوف فلم نجد حبًّا لنا ولا علفاً لدوابنا، وكانت القرى قد نهبت إعناتاً لنا وكراهية فينا، وأفسدت الطرق... إلى أن يقول: « وكان الحر هذه السنة أشد من المعتاد، وكثير من الناس سقطوا كأنهم أصيبوا بالسموم وماتوا في مواضعهم »

شرعت جيوش بابر تتذمر كما تذمرت جيوش الاسكندر حينما فتح الهند من قبل، وهموا بالرجوع إلى كابل وقد ذكرهم هذا الحر هواءها البارد؛ فجمعهم بابر وذكرهم أنهم تحملوا ما تحملوا وقاسوا ما قاسوا من أجل هذه الغاية التي بلغوها اليوم: « إن عدواً قوياً قد هزم وإن تحت أقدامكم مملكة عظيمة، فهل نترك كل ما كسبنا بعد أن بلغنا الغاية التي سعينا إليها ونفر إلى كابل كأننا جيش مهزوم مطارد؟ من كان يزعم أنه صديقي فليقلع عن هذه الوساوس. ومن لم يستطع أن يقسر نفسه على البقاء فليذهب ». وخجل الجيش فلم يحر أحد منهم جواباً

وجاهد بابر لتهدئة البلاد بالرغبة والرهبة، ولم يكن له بد من لقاء عدو هو أكبر الأعداء في الهند. ذلكم رأنا سانجا زعيم الأمراء في رجبوت، قد جمع مائة وعشرين قائداً وثمانين ألف حصان وخمسمائة فيل، وأيده أمراء آخرون وجاءته الجيوش من أرجاء مختلفة

وخرج إليه بابر سنة ٩٣٤هـ (١١ فبراير سنة ١٥٢٧) بعد سنتين من موقعة بانيبات وهي أول مرة يتقدم فيها الحرب عدو من غير المسلمين. وعسكر بابر عند سكرى التي سميت فيما بعد فتح بور، وبنى فيها جلال الدين الأكبر قصوراً عظيمة وظل خمسة وعشرين يوماً يحصن معسكره وينشر السكينة في قلوب قومه وقد ملكهم الرعب مما سمعوا ورأوا من شجاعة الرجبوتيين. في هذه الشدة هجر بابر الخمر وكسر أقداحها وأراق دنانها ثم جمع جنده فخطب فيهم: « أيها الأمراء والجند، لا بد لمن يجيء لهذا العالم أن يفارقه؛ وإنما البقاء لله الذي لا يتغير. وكل من جلس على مائدة الحياة شارب كأس الموت لا محالة، وكل من طرق نزل الفناء هذا فهو لا بد راحل يوماً عن دار الحزن. أولى بنا أن نموت أحراراً من أن نعيش أذلاء

« إن من فضل الله علينا أن ضمن لنا إحدى الحسنيين، فإن متنا متنا شهداء، وإذا ظفرنا ظفرنا في سبيله. هلمو نقسم جميعاً بالله العظيم ألا نفر من هذا الموت وألا نرهب مآزق الحرب حتى تفارق أرواحنا أجسادنا »

فأقسموا جميعاً على القرآن. وتقدم بابر في جموعه وعبأ جيشه كما فعل في بانيبات من قبل، ثم ركض جواده بين الصفوف يحض الناس على القتال والصبر ويعلمهم ما يجب عليهم حين تنشب المعركة

والتقى الجمعان في كنوها (١٦ مارس سنة ١٥٢٧) واحتدم القتال واشتدت حملات الرجبوتيين واستمر الجلاد وجهاً لوجه ساعات كثيرة. ثم أرسل بابر سرايا المغول لمفاجأة العدو من الخلف

وانتهى الأمر بهزيمة عدوه بعد أن استمات في القتال تاركاً آلاف القتلى في المعترك . وفر سنجا مثخنا بالجراح ومات بعد قليل ، ثم لم يتعرض أحد من ذريته من بعد لحرب أحد من سلالة بابر

بهاتين الموقعتين في بانيبات وكنوها حطم بابر أعظم القوى المخالفة في الهند . ثم استطاع أن يقضي على مخالفيه واحداً بعد الآخر في مواقع كثيرة آخرها موقعة هزم فيها المقاومين من سد مملكة دهلي وحلفاءهم من جيوش بنغاله بعد سنين من موقعة كنوها

عاش بابر بعد هذه الموقعة الأخيرة سنة ونصف سنة أمضى معظمها في أكرا مجتهداً في تنظيم مملكته الجديدة

— ٢ —

كان محمد ظهير الدين بابر سوىّ الخلق محكم البنية قوياً فارساً ماهراً رامياً حاذقاً حمل رجلين تحت ذراعه وجرى بهما على سور إحدى القلاع . ويقول في بابر نامه : « اجتزت نهر الكنك سباحة وعددت ضربات ذراعي فوجدتني قد اجتزت النهر بثلاث وثلاثين ضربة ، ثم أخذت نفسي وسبحت إلى العدوة الأخرى »

وكان جلداً على ركوب الخيل . وكثيراً ما قطع ثمانين ميلاً في اليوم . وقد أمضى معظم حياته في الأسفار والحروب

ولكن نوبات الحمى وكثرة تطوافه وتقلب الغير بها دهراً، والشدائد التي قاساها، والخمر التي لم يسلم منها أحد من بني تيمور، ثم الأفيون — كل هذا أنقض ظهره وناء بجسمه القوى . فها هو ذا على فراش الموت في قصره الجميل وحديقته في مدينة أكرا

مات بابر سنة ٩٣٧ هـ في سن التاسعة والأربعين (٢٦ ديسمبر سنة ١٥٣٠ م) بعد سبع وثلاثين سنة من تملكه في فرغانة

— ٣ —

وكان بابر كسائر بني تيمور مولعاً بالآداب والفنون ، يقرأ الشعر وينظمه ، ويعجب بالأبنية الجميلة ، ويهتم بتنسيق الحدائق وغرس الأزهار ، ويكلف بالغناء والموسيقى .

ونحن نراه في « بابر نامه » يفزع إلى نظم الشعر في أشد أوقات محنه ، كما نراه يتحدث عن الأدباء الذين اجتمعوا في هراة حول السلطان حسين ووزيره المعظم مير على شير موائى حديث عارف ناقد . وله ديوان صغير بالتركية تتخلله قطع فارسية .

وفي هذا الديوان منظومة في نحو ٢٥٠ بيتاً وهي نظم الرسالة الوالدية بعين الله المعروف باسم خواجه احرار من كبار الصوفية ، وتعرّفنا بابر نامه الأحوال التي نظمت فيها هذه الرسالة . وأنا أثبت هنا ترجمة هذه النبذة من الكتاب لتكون مثالاً من أسلوبه في تسجيل الحوادث وتفصيلها :

« يوم الجمعة ٢٣ من هذا الشهر (صفر) ، أحسست الحمى في جسدي، حتى لم أستطع أن أؤدي الصلاة في المسجد إلا بمشقة؛ ولم أستطع أن أصلي الظهر في خزانة كتبي إلا بعد تأخير ، ومع جهد كبير . وفي اليوم الثالث، يوم الأحد، خفت الرعشة قليلاً .

ويوم الثلاثاء ٢٧ صفر ، خطر لي أن أترجم نظمى الرسالة الوالدية مولانا عبيدالله . التجأت إلى روح الشيخ وقلت لنفسي : إن قبلت هذه القربة عند الشيخ كان إبلالي من هذا المرض آية القبول كما خلص صاحب البردة من مرضه .

« نظمت هذه الليلة ١٣ بيتاً ، وشرطت على نفسي ألا أنظم أقل من عشرة أبيات كل يوم ، وقد وفيت بهذا الشرط إلا يوماً واحداً

« كانت الحمى في السنة الماضية كلما انتابتني دامت ثلاثين أو أربعين يوماً ، ولكن بفضل الله وبركة الشيخ أبللت من هذه النوبة يوم الثلاثاء ٢٩ من الشهر .

« وفي يوم السبت ٨ ربيع الأول أكملت نظم الرسالة . وقد نظمت يوماً اثنين وخمسين بيتاً »

كتب في نهاية الديوان هذه العبارة « حرره بابر دوشنبه ١٥ ربيع الآخر سنة ٩٣٥ » . وفي ذيل الصفحة الأخيرة رباعية وفي حاشيتها هذه الجملة « هذه الرباعية التركية ، والامم المبارك بالتحقيق خط أعليحضرت ساكن الجنان بابربادشاه الغازي أنار الله برهانه . حرره شاه جهان بن جها نگير بادشاه بن أكبر بادشاه بن همايون بادشاه بن بابربادشاه »

وأما كتابه بابر نامه فهو في موضوعه نادرة من نوادر التاريخ؛ فما عرفنا قبل بابر ملكا أمضى حياته في عراك الحوادث ثم استطاع أن يصف مشاعره، ويسجل وقائع سيرته، وسيرة أقاربه وأعوانه في بيان واضح مفصل بعيد من التكلف يتجلى فيه اهتمام الكاتب بما يرى ويسمع ودقته في الإدراك والوصف

وهو في لغته وأسلوبه ذخيرة أدبية تسجل لنا لغة جغتاى في القرن العاشر الهجري وتبين محاولة ملك عظيم أن يذلل هذه اللغة للنثر الأدبي كما ذللها للشعر منذ سنين قليلة الوزير الكبير

مير على شير . والكتاب بعد هذا وذاك فصول ممتعة بل ساحرة يكلف بقراءتها كل من حاولها ، فمرف ما تبعث فى نفس القارئ من سرور وإعجاب وما تتضمن من فوائد للعلم والأدب والتاريخ

وقد ترجمت هذه السيرة إلى لغات كثيرة . ترجمت إلى الفارسية بأمر حفيدة جلال الدين الأكبر (٩٦٣ — ١١٠٤) ثم ترجمت فى العصور الأخيرة إلى لغات أوربية وطبعت أول ترجمة إنجليزية لها قبل مائة سنة ، ولا تزال موضع عناية الباحثين فى تاريخ الشرق الإسلامى وآدابه .

ولعل معهد الدراسات الشرقية فى كلية الآداب من جامعة فؤاد الأول الذى افتتح هذا العام يجمل ترجمتها إلى العربية باكورة أعماله إن شاء الله .

عبد الوهاب عزام

أعرابى فى سينما ... (*)

للأستاذ على الطنطاوى

وطالت غيبة « صُلَّبى »(١) ، حتى لقد استيأست منه ، فنسيته وطرحت همه عن عاتقى ، وعدت أدور مع الحياة كما تدور الساقية ، مغمض العينين ، أطوف فى مفحص قطاة ، فلا غاية أبلغ ولا راحة أجد ، أغدو إلى كدّ العقل وعذاب النفس ، وجفاف الريق وانقطاع النفَس ، وأروح ، وما بقى فىَّ بقية لعمل ، ولا طاقة على كتابة ، فألقى بنفسى على كرسىٍّ أو سرير ، أنتظر عذاب اليوم الجديد ...

وإنى لغادٍ إلى المدرسة ذات يوم ، وإذا أنا بأعرابى فى شملته يشير إلىَّ ... وهو يسير بين تلك المواخير : ترپانون وليدو ولوازيس ، حائراً يتلفَّت ... فقلت : لعلَّه ضالٌّ أحب أن يستهدينى ووقفت له ، فلما دنا وتبينته ، لم أملك من الفرح فى ... فصحت فى السوق وسط الناس . ومالى لا أصيح وقد وجدت « صلبى » بعد طول الغياب ... وحييته وحيانى تحية ذاكر للصحبة ، حافظ للود ، وطفق يحدثنى حديثه ...

قال :

أتذكر يا شيخ ما ابتلانى به الله من أمر الحمام ؟ لقد وقعت فى داهية أدهى ... ولقد والله كرهت الحضر ، وعفت المدن ، وأصبحت أخشى فيها على نفسى ، فما أدرى ما ذا سيكون من أمرى بعد الذى كان ؟ ...

... قدمت الشام قدمة أخرى ، فكان أول ما صنعت أن قصدت صاحبى ، وكنت قد عرفت داره فى (الميدان) ... فأكرمنى وأحسن استقبالى ، أحسن الله إليه ، وذبح لى خروفاً ، ولم يكتف بذلك من إكرامى بل أزمع أن يأخذنى إلى سنمة ... قلت : ولكنى لا أعرف سنمة هذا ، ولا أدرى من هو ، فكيف تأخذنى إليه ؟ قال : لا بد من ذلك . فاستحييت منه وكرهت أن أخالفه بعد الذى قد صنع فى إكرامى ... وقلت فى نفسى : لولا أن سنمة هذا صديق له ، عزيز عليه ، ما سار بى إليه . ولقد قال الشايخ من قبيلتنا : صديق صديقك صديقك ... فرضيت وقلت له : على اسم الله !

***

ولكن الرجل لم يسر بل أدركه لؤم الحضر فصاح بابنه أن هات الجرائد حتى نرى الرواية ، فتوجست خيفة الشر ، وقلت : إن الرجل قد جنّ ، وإلا فما بال الجرائد ؟ وهل تراه يضربنى بها ؟ إذن والله لأرينه عز الرجال ولضربته ضرباً يبلغ مستقر اللؤم فى نفسه ... وخشيت أن أتريّث أو أتلوّم فأخيب وأفشل ، وذكرت حكمة محمد بن علوى : « الغلبة لمن بدأ » فشد ذلك من عزمى وصرخت : « ياهُو ... » ووثبت وثبة أطبقت بها على عنقه ، وقلت : سترى لمن الجرائد والسياط ، ألابن المدينة الخوار الفرار ، أم لابن البر الحر ؟

فارتاع وأبيك وجعل يصيح من جبنه : أدركونى ، أنقذونى ! النجدة ، العون ، يا فلان (لابنه) أقبل ... ويلك يا صُلَّبى ، يا مجنون ، كف عنى ، ويلك ماذا اعتراك ؟

فأخذتنى به رأفة فكففت عنه ، وقعدت محاذراً أرقب أهل المنزل ، وقد اجتمعوا ينظرون إلى بعيون من يهم بفرى جلدى . فقال لى : ما أردت بهذا ويلك ؟ وبم أسأت إليك حتى استحققت منك هذا الصنيع ؟ قلت : بالجرائد ... أمثلى يضرب بالجرائد ، لا أم لك ؟

فضحك والله وجعل يكركر حتى لقد شبهت بطنه بقربة جوفاء أدخلها الماء . وضحك كل من كان حاضراً من أهله وبنيه ضحكا

(*) من كتاب « صور وخواطر » وسيصدر قريبا

(١) أنظر العدد ١٣٨ والعدد ٣٣٠ من الرسالة

ما شككت معه أن القوم قد أصابهم طائف من الجن ، فقلت : قبحكم الله من قوم، وقبحنى إذ أنزل بمثلكم. وهممت بالانصراف. فصاح بى وعزم علىّ إلا ما رجعت ، فبررت بيمينه وقفلت راجعاً فقال لى :

وأنت حسبت الجرائد مما يضرب به ؟ ألم تبصر جريدة قط ؟

قلت : ويحك فكيف إذن ؟ أنا من بلاد النخيل ، تبوك حاضرتى

قال : وتحسبها جرائد نخيل ؟ قلت : إذن فجرائد ماذا ؟ قال : خذ ؛ هذه هى الجرائد

وأتى إلىّ بصحفاً سوداً بها من دقيق الكلم مثل دبيب النمل ، فعجبت منها وسألته أن يقرأ علىّ مما فيها فأستفيد علماً ينفعنى فى آخرتى ، فإن الرجل لا يزال عالماً ما طلب العلم ، فإذا ظن أنه قد علم فقد جهل. ولقد سمعت أنه جاء فى الأثر « كن عالماً أو متعلماً أو مستمعاً ولا تكن الرابعة فتهلك »

فضحك وقال : وهل تظنها كتب علم ؟ قلت : فماذا فيها مما ينفع الناس ؟ قال فيها أخبار البشر ـ من سافر منهم أو حضر ـ أو تزوج أو ولد له ، فما يصنع أحد من شئ إلا دوّن فيها ، ولا ينبغ من عالم أو أديب أو يقدم مغنٍّ أو تجيء قينة أو تأمر الحكومة أو تنهى إلا ذكر ذلك فيها ، حتى إن فيها صفة الخمر والإعلان عن الميسر ، وأخبار دور الدعارة ، والدعوة إلى الروايات الخليعة ...

فلما سمعت ذلك طار عقلى وأخذت هذه الجرائد فمزقتها شرّ ممزّق ، وعلمت أن الله مهلك هذه القرية ، وعزمت على مفارقتها ونويت ألا أعود إليها بعد الذى سمعت من خبر جرائدها ...

وما ظننت أن مثل ذلك يكون ، ولم يجتزيء صاحبى بما أعلمنى من علمها بل عمد إلى صحف أخرى كانت فى أيدى صبيانه وبناته فيها صور قوم عراة تبدو عوراتهم ، ونساء ما يسترهن من شيء إلا شيئاً ليس بساتر ، فأرانيها ، فسقط والله من عينى وقلت ، هذا القرنان الذى لا تأخذه على أهله غيرة ، وما كنت أحسب أن رجلاً يؤمن بالله واليوم الآخر يفعل ذلك ...

* * *

ولست مطيلاً عليك الحديث ...

... وذهبنا نزور سنمة فسرنا حتى بلغنا قصراً عظيما على بابه خلق كثير ، وله دهليز تسطع فيه الأضواء ، فقلت ، هذا قصر أمير البلد ، هذا الذى يدعونه رئيس الجماهير ... وألهانى ما رأيت وشغلنى ففقدت صاحبى وسط الزحمة ... ولكنى لم أبال ، وأقبلت أصعد الدرج فمنعنى أغلمة بثياب ضيقة حمر ما رأيت مثلها ، وعلى رؤوسهم كُمَم لها رواق من فوق عيونهم كالذى يوضع على عينى بغل العجلة ... وأفخاذهم مكشوفة فمن أهل الفسوق والتهتك ، فهممت أن آخذ اثنين منهم فأكركبهم على الدرج فأزحلق بمقدمهم عن مواضعها ، ثم قلت ، ترفق يا صُلَبى لا تجنّ فما أنت فى البادية، أنت فى قصر الأمير وهؤلاء مماليكه وإنك إن مسستهم لم تجد أمامك إلا ضرب العنق ... ووضعت يدى على عنقى أتحسسها فعلمت أنى لا أزال أحتاج إليها

ولو أننى فى السوق أبتاع مثلها وجدك ما باليت أن أتقدما

وسألت الغلمان الكاشفى الأفخاذ ماذا يريدون منى أن أصنع ، فأشاروا إلى كوّة ازدحم عليها الناس ، فعلمت أن الدخول من هناك ، وأقبلت أزاحم وأدافع وهم يردوننى حتى بلغت الكوة . فإذا هى غرفة ضيقة كأنها القفص وإذا فيها رجل محبوس والناس يتصدقون عليه ، فقلت فى نفسى : هذا رجل ضرب مماليك الأمير فحبسه هنا لتضرب عنقه فى غداة الغد ، وحمدت الله على السلامة ، وتوجهت بوجهى إلى رجل توسمته أسأله: متى تضرب عنق السجين ؟ فنظر إلىّ ولم يجب ، ثم ولاّنى قفاه وانصرف ، فعلمت أن الأمير يمنع الناس من الكلام فى هذا ، ولولا ذلك لأجابنى . ودنوت من كوّة السجين فأعطيته قروشاً كانت معى وقلت له : هذه لأولادك من بعدك ، لهم الله فلا تحزن ، فلم يقبضها حتى عدّها فرآها كثيرة فرد إلىّ بعضها وقبل بعضاً ، فلم أُلحف عليه وأخذتها منه وأخذت معها ورقة صفراء أعطانيها لم أدر ما هى ، ولكنى لم أشأ كسر قلبه بردّها ، ووضعت ذلك كله فى كُمّ وعمدت إلى الكوة لأدخل منها فوجدتها عالية ، فوثبت فأصبت بقدمى وجه رجل ممن كان هناك ، فما باليته وقلت سأعتذر إليه ، وقد رأيت أهل المدن يؤذون إيذاء العدو ، ثم يعتذرون اعتذار الصديق . وأدخلت رأسى فى الكوة ، فصاح السجين صياحاً أرعبنى والله ، وشبهته بصراخ كلب ديس على ذنبه ، وأجلب الناس ، وطفقوا يشدون برجلى وثيابى ، وأنا أرفس بقدمى رفساً لا أبالى موقعه من أجساد الناس ، والسجين اللئيم الذى أحسنت إليه يدفع برأسى ويشد بشعرى ، ولم يكن عضو من أعضائى إلا وهو مشغول ،

فيداى أتمسك بهما ، ورجلاى أذود بهما عن نفسي ، ولم أجد ما أدفع به أذاه عنى إلا أن بصقت فى وجهه ، فأقبل يضربنى فمضضت يده ، ثم دنوت من وجهه فمضضت أنفه ... وكان أنف ذليل لا يزال خبث طعمه على لسانى ...

... ثم أخرجونى قسراً وجبراً – وجاء مماليك السلطان فحجزوا بينى وبينهم – وأخذوا الورقة الصفراء ، وأدخلونى من باب كان هناك إلى بهو واسع صح معه ما كنت قدرت من أن سنمة هذا سلطان البلد ، ورأيت الناس قد صفوا كراسيهم كصف الصلاة ، وإذا بعضهم يولى بعضاً دبره ، فقلت : ما ألأم أهل المدن ، والله ما كنت مولياً مسلماً ظهرى إلا فى الصلاة . وعمدت إلى الكرسى لأديره فإذا هو مثبت بمسامير من حديد ، فتركته واستدرت أنا ، فجلست على قفاه ، وجعلوا يضحكون منى ، فما ألقى لهم بالاً ، حتى جاءت امرأة ، فجلست قبالتى ، فقلت : يا أمة الله استترى . فأقبلوا يزرونى ، وإذا هى فيما قالوا « شاب » وليس امرأة ، فجلت أعجب . . .

ولبثت أنتظر خروج السلطان فإذا بالمماليك يديروننى فيجلسوننى من حيث يجلس الناس ، فلم أملك إلا الطاعة ، وقعدت أنتظر فلم أنشب أن جاء مملوك آخر ، فقدم إلىّ صفحة من خشب قد صف عليها قرانى وشطائر[1] وقال : تريد ؟ قلت : أريد والله . . . وهل يأبى الكرامة إلا اللئيم ؟ وأقبلت آكل فأجد طعاماً هشاً تحت الأسنان ، حلواً فى الحلق ، خفيفاً على البطن ، فقلت : هذه هى البقلاوة التى وصفوها لنا ، وجعلت آكل فلا أشبع ، وهو يقدم إلى متعجباً حتى استنفدت ما كان معه . فمسحت شفتى بيدى وقلت : الحمد لله ، جزاك الله خيراً

فظل واقفاً ولم يمض ، فقلت : الحمد لله ، لقد شبعت . قال : يدك على الفلوس ؟ قلت : ويحك ماذا تريد ؟ قال : أكلت ثلاثين قطعة كل قطعة منها بسبعة قروش فهذه مائتان وعشرة . . .

قلت : قبحك الله من عبد لئيم ! تأخذ من ضيوف السلطان ثمن القرى ؟

وكان ما أكلت قد شدّ صُلبى فوثبت إليه ووثب إلىّ ، وقام الناس ، وزلزل البهو بأهله ، وكادوا والله يطردوننى لولا أن ظهر صاحبى فانفرد بالمملوك فأرضاه عنى ، وجاء فقعد معى

* * *

وإنا لكذلك يا شيخ ، وإذا بالأنوار تنطفئ ، وإذا بالخيل تهجم علينا مسرعة حتى كادت والله تخالطنا . فقلت : لك الويل يا صُلبى ، ثكلتك أمك ، إنه الغزو فما قعودك ؟ وقفزت قفزاتى فى البادية ، وصرخت وهجمت أدوس على أجساد الناس وهم يضجّون ويصخبون ، فلما كدت أبلغ الخيل اشتعلت الأنوار وفرّ العدوّ من خوف بطشى هارباً ، وجاء عبيد السلطان ليخرجونى فردّهم عنى صاحبى وكلهم ...

فقلت : هذا والله العجز والذل ، فقبح الله من يقيم عليهما ترون العدو قد خالطكم وتلبثون قعوداً ؟ ما أكرهكم إلىّ يا أهل المدن ، ما ظننت والله إلا أنكم ستحملون إلىّ صلة السلطان على أن رددت عدوّكم وهزمته ...

فضحك اللئام ، وجعل صاحبى يحذرنى العودة إلى مثلها ؛ ولم ألبث حتى أطفئت الأنوار كرّة أخرى ، ففزعت ونظرت فما أحسست إلا امرأة قد قبض عليها رجل خبيث يحاول أن ينال منها على مرأى منا ومسمع ؛ وهى تستغيث وأنا أسمع صياحها ولا من مغيث ؛ فثارت الحمية فى رأسى وسللت الخنجر وأقبلت أريده ، فاختفى والله حتى كأن لم يكن هنا لك من أحد . وعادت الأضواء ، ورجع الصخب ؛ فقلت : والله ما أقيم ، وجعلت أصيح أخرجونى ويلكم ... حتى أخرجونى ...

* * *

قال صُلبى : فخرجت وقد علمت أن جرائدكم يا أهل المدن تنشر الفجور وتهتك ستر الله عن الناس وتفضحهم ، وأن شبابكم بنات ، وأن أمراءكم سحرة يسحرون أعين الناس حتى يروهم ما لا يُرى ... ثم إنكم لا تغارون على أعراضكم ، ولا تبالون كشف عورات أبنائكم وبناتكم . لا والله ما أحبكم ...

وذهب مولياً عنى مسرعاً يمشى بين تلك المواخير القذرة : تريانون وليدو وأولمبيا ... تلقاء سوق الحميدية والأموى حيث المدينة الطاهرة الفاضلة ... حيث دمشق التى سمّاها شوقى « ظئر الإسلام » !

(ثانوية – دمشق) على الطنطاوى

(1) القرنية الكاتو وجمعها قرانى . والشطيرة والشطائر الساندويتش

الأمومة عند العرب

للأستاذ رفعة الحنبلي

تمهيد

ذهب أكثر علماء الاجتماع ، حتى أواسط القرن الثامن عشر إلى أن الأبوة هي أقدم عهداً من الأمومة في تاريخ الأسرة ، وأنها قد تشابه والأسرة الحديثة تشابهاً كلياً من حيث النشأة والتكوين ، إلى أن ظهر كتاب « الأمومة » للعالم الألماني الكبير Bachofen فأحدث انقلاباً تاماً في تاريخ الأسرة وفي آراء علماء الاجتماع فيه. إذ ذهب إلى أن الأمومة هي أقدم عهداً من الأبوة ، وأبعدها أثراً منها في الهيئة الاجتماعية

ليست الأمومة أقدم نوع في تاريخ الأسرة بل هي – كالأبوة – أحد الأنواع التي مرت على هذا التاريخ منذ ما أخذت الجماعات الإنسانية تفكر في تكوين الأسرة وخلقها

أراد علماء الاجتماع بالأمومة Matriarcat بأنها القرابة من ناحية الأم ، كما أرادوا بالأبوة Patriacat بأنها القرابة من ناحية الأب ، ذلك أن الولد في الحالة الأولى ينتسب إلى أمه كما أنه ينتسب إلى أبيه في الحالة الثانية

وقد اختلف العلماء في أمر نشأة الأمومة وتباينت آراؤهم في أمر ظهورها ، فذهب Bachofen إلى أنها نشأت من نكاح المشاركة أو بعبارة ثانية من نكاح الاختلاط Hétérisme ، فتولد من هذا النوع من النكاح الفوضوي الأمومة ؛ إذ ليس من السهولة أن يعرف الولد أباه فينتسب إليه ويلتحق به ، ولذا كان النسب محصوراً في الأم وقرابتها وحسب ، وأصبحت لها مكانتها العالية ، ومقامها الرفيع عند القوم ، لأنها — في الحقيقة — الوالدة الوحيدة المعروفة من أبوي الولد مما أدى بها إلى تزعمها الهيئة الاجتماعية Gynécocratie ردحاً من الزمن

إلا أن العالم الإنكليزي Lenan يخالف Bachofen فيما ذهب إليه في أمر نشأة الأمومة ، ويردها إلى التباين الموجود بين نوعين من أنواع الزواج : الزواج الخارجي Exogamie والزواج الداخلي Encogamie ذلك أن Lenan عند ما أراد البحث عن تاريخ الأسرة، وجد أن هنالك عادة لا تزال شائعة عند بعض الشعوب المتوحشة حتى في بعض الأمم المتمدينة أيضاً ، هذه العادة هي خطف الخطيب لفتاته ، أو اغتصابها ، فأيقن أن هذه الظاهرة ليست إلا بقية من عادة قديمة أخرى تشير إلى تزوج رجال قبيلة في قبيلة ثانية . وقد توصل في بحثه هذا إلى معرفة تلك العادة وسبب تأصلها في الأمم الغابرة ، فاعتقد أنها ناتجة عن وأد الفتاة وقتلها ، مما أدى إلى قلة عدد النساء ، وزيادة عدد الرجال زيادة بينة ، فأقدم هؤلاء على مخالطة امرأة واحدة مما نشأ عنه تعدد الأزواج Polyandrie وبالتالي الأمومة ، التي يعني بها معرفة أم الولد دون أبيه

وخالف العالم الألماني Cuwont زميله في اجتهاده مخالفة تامة فذهب إلى أن الأمومة ظهرت بظهور « عصر الزراعة » وعهدها ؛ ذلك أن الأم – في ذلك الوقت – كانت تتعهد الأرض بالغرس والزرع تعهداً كليًّا ، وكانت تشرف على البيت إشرافاً تامًّا لا ينازعها السلطة عليه أحد ، متحملة التبعات العظيمة التي ألقيت على عاتقها مما جعلها تهتم بالناحيتين الداخلية والاقتصادية ، بينما كان الرجل بعيداً عن البيت وعن هذه المظاهر المختلفة، إما للقيام بواجب الدفاع أيام الغزوات والحروب ، وإما لاشباع رغبته في القنص والصيد ، وهو إلى هذا قد لا يفكر في الاجتماع بأسرته وزيارة امرأته — أم أولاده — إلا عند ما يرغب في الاتصال بها

حدث من هذا الابتعاد أن التف حول المرأة أولادها – وهي التي غذتهم بلبنها وقامت على تربيتهم – فأنشأت لنفسها مركزاً سامياً بين أعضاء أسرتها ، أي لدى أولادها وإخوتها وأعمامها ، وأخذت الأسرة تتركز فيها ، فاحترم القوم هذه الأم ، وأنزلوها منزلة رفيعة ، وأمست محور الأسرة ومحور البيت معاً ... وهكذا اتجهت الأمومة نحوها

إلا أن Cunow لم ينتبه إلى أهمية « التوتمية » Totémisme في نشأة الأمومة؛ هذه الكلمة تشير إلى رمز ديني اتخذته الأسرة أو القبيلة القديمة إلهاً لها ، وهي إلى ذلك من الرموز الدينية التي لها الفضل الأكبر في تكوين الأسرة الأولى. يقول Durkheim[1] : « إن الأسرة الأولى لم تقم إلا على التوتمية ، وحسب المرء لكي يعد عضواً في الهيئة الاجتماعية أن يكون تابعاً أو منتسباً لتوتم

(١) في L'année sociologique

واحد Totem ومن صفات التوتم أن يكون محصوراً في نسل المرأة ، أي أن يتبع الولد توتم أمه . وليس الولد هو الذي يتبع أو ينتسب إلى هذا التوتم فحسب، بل تشترك الأسرة والقبيلة في هذا الانتساب أيضاً . فالتوتمية لها إذن الأثر الأكبر في تكوين الأمومة وظهورها

وإذا كان الولد لازم أمه في عصر الزراعة كما نوه بذلك Cunow ومال إليها وانتسب إلى أسرتها ، وتوثقت علاقته الاجتماعية بها، فإن كل هذه الظواهر لم تكن نتيجة هذا العصر، بل كان الباعث لها التوتمية

الأمومة عند العرب

مما لا ريب فيه أن الأمومة كانت فاشية عند أكثر شعوب العالم إن لم يكن كلها ، ونكاد نلمس آثارها جلية واضحة عند بعض الجماعات : كقبائل الأراواك في غينيا ، وقبائل الدياك في بورنيو ؛ كما أننا نشعر باضمحلالها عند البعض الآخر حيث خلفتها الأبوة . وإذا ما رجعنا إلى تراث كل أمة من الأمم الغابرة نجد أنها عرفت هذا النوع من أنواع الأسرة . والأمة العربية لم تخل في سالف عهدها ، قبل الإسلام ، من شيوع الأمومة فيها ومعرفة العرب للتوتمية Totémisme . فالتوتمية[1] كما أشار بها هنود أمريكا الشمالية إلى الحيوان المقدس الذي تعبده القبيلة وتسمى باسمه وتنتسب إليه . فالقبيلة التي تأخذ الحمامة توتماً لها ، فإنها تعتبرها ملاكاً كريماً ، وروحاً طاهرة وحارساً أميناً لها ، فتتلقب بها ، ويعتقد رجالها جميعهم أنهم أقرباء لها ولسائر أنواع الحمام أيضاً

ولو رجعنا إلى تاريخ الأمة العربية ، في جاهليتها ، لوجدنا أن كثيراً من قبائلها كانت تعرف بأسماء بعض الحيوان أو بأسماء بعض الآلهة ، ودليلنا على ذلك أن بعض القبائل العربية كانت معروفة بقبائل أسد ، وثور ، وكلب ، وعقاب ، وغيرها ، حتى أن المستشرق سميث Smith يعتقد أن لهذه الأسماء معاني دينية ، وأن لها علاقة بعبادة الحيوان كما هو مشاهد في التوتمية ؛ كما أن البعض الآخر من القبائل العربية تلقب بأسماء الآلهة التي عبدها كقبائل بني هلال وبني شمس وبني بدر وغيرها الذين كانوا ينتسبون إلى تلك الآلهة التي كانوا يعبدونها أيضاً ؛ فالقبائل العربية كانت ، عهدئذ ، توتمية أي أنها كانت تقدس الحيوان وتعبده ، وعنه اتخذت ألقابها . على أن من صفات التوتم ، كما قدمنا ، أن يكون محصوراً في نسل المرأة أي أن يتبع الولد أمه دون أبيه ، كما هو مشهور عن هنود أمريكا الشمالية إذ لا يزالون حتى اليوم على الأمومة

والأمومة عند العرب نشأت عن عدم معرفة أبي الولد ، ذلك أن الهيئة الاجتماعية العربية القديمة لم تهتم بالزواج الشرعي بل كان الزواج فوضوياً أو زواجاً مشتركاً Hétérisme أي أن المرأة لم تكن ترتبط مع الرجل برباط شرعي متين بل كانت تتصل بأكثر رجال قبيلتها

إلا أن العالم Lenan يذهب إلى أن الأمومة نشأت عند العرب عن تعدد الأزواج Polyandrie الذي كان في بادىء الأمر غير مقيد ، بمعنى أنه لم تكن صلة قرابة بين الأشخاص المالكة لامرأة واحدة ، لكنه أصبح فيما بعد مقيداً ومحصوراً أي أن المرأة أصبحت تخص جملة أشخاص معينة من أسرة واحدة أو من أم واحدة . غير أن Lubbock الفيلسوف الإنكليزي « يعد تعدد الأزواج من الأمور الشاذة التي نتجت عن قلة النساء » فالأمومة كانت إذن سائدة في الوقت الذي كان فيه زواج الاشتراك شائعاً عند الأمة العربية ، قبل أن تعرف الزواج الشرعي أو الزواج الفردي الذي تعرفه الهيئة الاجتماعية الحاضرة وتعمل به

ولا بد لنا من أن نتساءل : هل كانت الأمة العربية في جاهليتها ، تعرف هذا النوع من الزواج - زواج الاشتراك - أم أخذت بنوع آخر أي بتعدد الأزواج ؟

لقد أخبرنا أحد المؤرخين اليونانيين القدماء - سترابون - عن أمر الزواج عند عرب الجاهلية بأن « الأملاك عندهم مشتركة أي أنها تخص جميع أعضاء الأسرة التي يرأسها شيخ ، وهو أكبرهم سناً ، ولهم جميعاً امرأة مشتركة يختلفون إليها ، فمن جاء منهم قبلاً دخل عليها ، وترك على الباب عصاه ، ليشير بذلك إلى اختلائه بها... لكنها، في الليل، لا تكون إلا مع أكبرهم سناً »

(١) ولعل لفظة « تميمة » العربية كانت في الأصل تدل على عبادة الحيوان عند السلالات الشرقية لأن معناها في العربية « المعاذة » والشيء الذي يتعوذ به الانسان من شر ، وتقارب اللفظين « توتم » و « تميمة » يدعو إلى هذا الظن « علم الاجتماع » لتوفيق الحداد

نفهم من هذه العبارة التي أوردها هذا المؤرخ اليوناني أن تعدد الأزواج كان فاشياً بين العرب ومعروفاً عندهم ، وهذا ما اعتقده المستشرق سميث .

وأعقب هذا المؤرخ عبارته تلك بعبارة ثانية خالف بها ما ذهب إليه في الأولى إذ قال : « وهم يتصلون بأمهاتهم ويعاقبون الزاني بالموت ، ويريدون بالزاني من اتصل بامرأة من غير قبيلته » . يعني بذلك أن رجال القبيلة الواحدة أباحوا لأنفسهم الاتصال بنسائها بحرية تامة ، فلم تكن المرأة يستأثر بها رجل معين ، أو جماعة معينة ، وهذا ما يجعلنا نؤمن بشيوع زواج المشاركة عندهم لا تعدد الأزواج

يقول أحد علماء الاجتماع : « إن العرب في الجاهلية لم تكن تعرف زواجاً مستمراً ترتبط به المرأة مع رجل إلى وقت محدود ؟ ذلك أن العرب كانوا يفضلون النكاح الوقتي على غيره » . وقال أيضاً : « والعرب يقضون عمرهم في التجول والتنقل ونساؤهم يتصلن بمن أردن من الرجال لأجل معين ، بعد أن يأخذن منهم أجورهن فريضة . هذا النكاح الوقتي يشبه نكاح المتعة الذي أباحه النبي العربي الكريم لأصحابه في أول عهد الإسلام ، وقد عرفه بعض علماء الشرع بأنه نكاح يعقد إلى أجل معين ، ثم يحل بعد انقضاء هذه المدة . وفسره البعض الآخر : بأنه — أي نكاح المتعة — يعقد إلى أجل ، لا ميراث فيه ، وفراقه يحصل بانقضاء الأجل من غير طلاق »

ولنبحث قليلاً عن نكاح المتعة ، فإن لنا فيه بعض الفائدة لهذا البحث ، لنقف منه على مدى تلك العلاقات الزوجية القائمة بين الرجل والمرأة .

أشار القرآن الكريم إلى هذا النكاح ، نكاح المتعة ، في عدة آيات . فقد جاء في سورة النساء « . . . وأحل لكم ما وراء ذلكم أن تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين ، فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة ، ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة . . . » اختلف المفسرون في تفسير هذه الآية ، فبعضهم يفهم من مدلولها أنها إشارة إلى الزواج الشرعي أو الزواج الفردي ، وأن كلمة أجورهن يراد بها مهورهن لأن المهر ثواب على البضع[1] وبعضهم يرى فيها أنها إشارة إلى زواج المتعة أو الزواج الوقتي حتى قيل إن هذه الآية نزلت في المتعة التي كانت ثلاثة أيام حين فتح الله مكة على يد رسوله الكريم ثم نسخت . كان الرجل ينكح المرأة وقتاً معلوماً ليلة أو ليلتين أو أسبوعاً بثوب[1] أو غير ذلك ويقضي منها وطره ثم يسرحها ؛ وسميت متعة لاستمتاعه بها أو لتمتيعه لها بما يعطيها[2]

وهناك بعض الأحاديث التي تدل على أن النبي العربي الكريم أباح المتعة يوم فتح مكة ، ونهى عنها بعد ذلك . جاء في صحيح البخاري[3] : أن النبي ، صلوات الله عليه ، نهى عن نكاح المتعة آخراً . وعن ابن عباس حينما سئل عن متعة النساء فرخص ؛ فقال له مولى له : إنما ذلك في الحال الشديد[4] وفي النساء قلة أو نحوه فقال ابن عباس : نعم[5]

يتبين لنا مما تقدم ، أن النبي العربي الكريم أباح نكاح المتعة في الظروف المتقدمة ، وحرمها تحريماً أبديا . قال المستشرق Von Kremer في كتابه « تاريخ تمدن الشرق » عن زواج المتعة ما معناه : « وكان شائعاً بين العرب قبل محمد نوع من النكاح يكاد لا يستحق هذا الاسم ، وهو المعروف بنكاح المتعة ؛ كان يعقد لأجل بقيمة معلومة تدفع للمرأة سلفاً ؛ لكن محمداً أبطل هذه العادة الرديئة »

فالمتعة إذن ليست إلا النكاح الوقتي ، وكانت من عادات العرب في الجاهلية ، ولولم تكن من عاداتهم قبل الإسلام لما نزلت الآية القرآنية ، ولما أحلها وحرمها النبي العربي الكريم ؛ لقد تأصلت هذه العادة في نفوس القوم ، وتمكنت من أخلاقهم ، وتأصلت في طباعهم حتى أننا نلمس آثارها بعد الإسلام وبعد هذا التحريم . روى الرحالة الانكليزي Hamilton أنه « رأى في أكثر شوارع مدينة « سنان » — وهي من أعظم المدن في اليمن — سماسرة للنساء ، فكل غريب لا مأوى له في المدينة يمكنه أن يتزوج ويتبلد فيها بقيم زهيدة وبطريقة بسيطة ، وهو أن يتفق مع المرأة ، بعد أن يراها وتعجبه على الثمن ، فيحدد لها المدة التي يمكنه أن يقيمها معها أسبوعاً كان أم شهراً أم سنة كاملة ثم يحضر معها أمام القاضي أو حاكم المدينة فيسجلان اسميهما في كتاب عنده ويكتبان الشروط التي اتفقا عليها ، وكل ذلك

(١) تفسير الزمخشري الجزء الأول صفحة ٢٠٢

(١) والأصح بثوب
(٢) تفسير الزمخشري الجزء الأول صفحة ٢٠٢
(٣) المجلد الثاني الجزء السابع صفحة ١٢ (٥) من قوة الشهوة
(٤) صحيح البخاري المجلد الثاني الجزء السابع صفحة ١٣

أقاصيص

أبو النجـــم الرجاز
وهشام بن عبد الملك
للأســتاذ على الجندى

[بقية ما نشر فى العدد الماضى]

تركنا فى المقال الأول أبا النجم فى رصافة هشام أو رصافة الشام ، على حال تسرّ العدو وتسوء الحبيب ! منبوذاً من البلاط خائفاً يترقب ! لا طعام إلا ما يصيبه من مائدة الكلبي والتغلبي ، ولا مأوى إلا بيت الله يبيت فيه بلا وطاء ولا غطاء مع طُرّاق الليل وأبناء السبيل !

وقبل أن نقتصّ بقية أخباره نريد أن نعرف : كيف رانت الغفلة على عقله ، وكيف غاب عنه شيطانه الناصح ! فزلّ زلة ما كان أيسر أن يشيط بها دُمُه لولا أن حفّه لطف الله الخفى ! وأى زلة أكبر من أن يعيب شاعر الخليفة فى وجهه بين غاشيته وخاصته ؟

الحق أن لأبى النجم بعض العذر ؛ فإنه لم يكن فى مقام المادح للخليفة المخاطب له بالشعر حتى يُعدّ مجبِّها له ، وإنما هى أرجوزة أنشئت من قبل فى غرض خاص وسمعها الخليفة عرضاً ، وليس من المعقول أن نعطّل التشبيهات ، ونُبطل الوصف ونئد الفن إكراماً لحوَل عينٍ ولو كانت عين هشام ! فالكلام فى ذاته برىء من العيب ، وإنما جاء العيب من المصادفة السوداء !

والحق أيضاً أن جمهرة من الشعراء قبل أبى النجم وبعده وقعوا فى أشرّ مما وقع فيه ، وبعضهم لم يكن بادياً جافياً مثله ، بل كان حضرى الشمائل ، رقيق الحواشى ، مصقول الخاطر ، أنيق الطبع كأبى نواس ! ولا يتسع المقام لإيراد الشواهد ؛ فقد نجرد لها مقالاً خاصاً ، ونكتفى منها بمثال واحد :

يذكر الرواة أن ذا الرمة الشاعر ورد على عبد الملك بن مروان فاستنشده شيئاً من شعره ، فأنشده أول قصيدته البائية :

مابال عينك منها الماء ينسكب ؟ كأنه من كلى مفرية سرب[1]

وكان بعين عبد الملك شعرة فهى تدمع منها أبداً ، فتوهم أنه عرّض به ! فقال : وما سؤالك عن هذا يا أحمق ؟ وأمر به فأخرج

وقد علل ابن رشيق[2] انزلاق الشعراء إلى هذه المآزق ، فقال : إنما يُؤتى الشاعر فى هذه الأشياء من غفلة فى الطبع وغلظ ، أو من استغراق فى الصنعة ، وشغل هاجس بالعمل يذهب مع حسن القول أين ذهب

ثم قال — ينصح لهم — : والفطن الحاذق يختار للأوقات ما يشا كلها ، وينظر فى أحوال المخاطبين ، فيقصد محابهم ويميل إلى شهواتهم ، وإن خالفت شهوته ؛ ويتفقد ما يكرهون سماعه فيتجنب ذكره

ورأيى أنه كان واجباً على هشام فى أبهة الخلافة وجلال الملك وبهاء المنصب ، أن يتغاضى عن هنة غير مقصودة من شاعر نقى الفطرة ، سليم دواعى الصدر مثل أبى النجم ، وأحسب أن هذه السقطة لو وقعت فى بلاط معاوية أو المأمون أو الواثق ، ما زادوا على أن أسروها فى أنفسهم ، أو ضحكوا لها ضحكة مدوية ! ولو أن هشاماً جعلها دبْرَ أذنه ما كان لها هذا الشأن التاريخى ولأكبر الناس رحابة ذرعه ، ورجاحة حلمه ، ورموا أبا النجم بالفدامة وفساد الذوق !

وإذا كان الشىء بالشىء يذكر نقول : إن حولة هشام لها نوادر مذكورة فى الكتب !

يحدث المسعودى فى مروج[3] الذهب : أن هشاماً عرض

(١) سرب القربة بفتح الراء : ما يقطر من خرزها
(٢) العمدة ١ — ١٤٩
(٣) مروج الذهب ٢ — ١٨٣

لا يكلفه إلا بضعة دريهمات ، ثم يضع الرجل يده فى يد المرأة أمام القاضى فيتم الزواج ويعد ذلك شرعياً حتى انقضاء المدة المعينة ؛ هذا وكل منهما حر أن يفترق عن صاحبه متى أراد أو أن يرتبط معه ثانية بعد انقضاء المدة المعينة ، أما إذا افترق أحدهما عن الآخر قبل انقضاء هذه المدة فعليه أن يدفع لصاحبه القيمة التى تسلمها منه أو اتفق معه عليها طبقاً للشروط التى عقدت بينهما ، وبعد ذلك يمكنه أن يتزوج على الصورة عينها متى شاء »

لو لم يكن النكاح الوقتى فاشياً بين العرب لاستحال وجود نساء يهبن أنفسهن ببضعة دريهمات ولأجل معين ، ذلك أن الأمة العربية فى جاهليتها لم تكن تعرف الزواج الشرعى الدائم .

(البقية فى العدد القادم) رفعة الحنبلى

الجند يوماً بحمص الشام ، فمر به رجل من أهلها على فرس نفور فقال له : ما حملك على أن ترتبط فرساً نفوراً ؟ فقال الجمحي : لا ، والرحمن الرحيم ، يا أمير المؤمنين ما هو بنفور ، ولكنه أبصر حولتك فظن أنها عين غزوان البيطار ! فصاح هشام : تنح ! فعليك وعلى فرسك لعنة الله !

وكان غزوان هذا بيطاراً نصرانياً بناحية حمص يشبه هشاماً كل الشبه

ويحكى المبرد(١) : أن سالم بن عبد الله بن عمر ، دخل إلى هشام في ثياب وعليه عمامة تخالفها ، فقال له هشام : كأن العمامة ليست من الثياب ، قال : إنها مستعارة . قال : كم سنك ؟ قال : ستون . قال : ما رأيت ابن ستين أبقى كدنة(٢) منك ! ما طعامك ؟ قال : الخبز والزيت . قال : أما تأجمهما(٣) ؟ قال : إذا أجمتهما تركتهما حتى أشتهيهما .

ثم خرج من عنده وقد صدع ! فقال : أترون الأحول قد لقعني(٤) بعينه ؟ فات من تلك العلة !

ويحب أن نقول بهذه المناسبة : إن الحول قد يعده بعض الناس – وأنا في طليعتهم – من سمات العيون المستملحة كالحور والانكسار والدعج ، وبخاصة إذا كان الحول خفيفاً وهو ما يسمى بالقبل .

ففي ترجمة ابن سريج(٥) : أنه كان في عينه قبل حلو لا يبلغ أن يكون حولاً

وفي أخبار أبي الأسود(٦) : أنه اشترى جارية حولاء فغارت منها زوجه وابنة عمه : أم عوف . فكانت تشارّه(٧) في كل يوم وتقول : من يشترى حولاء ؟ فلما أكثرت عليه قال :

يعيبونها عندي ، ولا عيب عندها
سوى أن في العينين بعض التأخر
فإن يك في العينين سوء ، فإنها
مهفهفة الأعلى ، رداح(٨) المؤخر

(١) رغبة الآمل ٥ — ١٣١
(٢) بضم الكاف وكسرها : قوة الجسم أو كثرة اللحم والشحم
(٣) أجم الطعام من باب ضرب وفرح : كرهه
(٤) أصابه بالعين
(٥) الأغاني ١ — ٢٥٠
(٦) عيون الأخبار ٤ — ٥٨
(٧) تخاصمه
(٨) ثقيلة الأوراك

وقد عد بعض العشاق حول عينيه نعمة من الله تستوجب الشكر والحمد ! وساق ذلك في شعر طريف علق عليه أبو هلال(١) العسكري بقوله : إنه مما لا أظن له شبيهاً !

قال العاشق الشاعر الأحول :

حمدت إلهي إذ بليت بحبها على حول يغني عن النظر الشزر
نظرت إليها ، والرقيب يظنني نظرت إليه، فاسترحت من العذر

ونعود إلى سياقة قصة(٢) أبي النجم فنقول : إن محنته لم تطل ، فقد تأذن الله بكشف الغمة عنه وهيأ لذلك أسبابه !

فأمسى هشام ذات ليلة لقس(٣) النفس منفر المنام ! وهو عارض كثيراً ما يعتري الخلفاء لما يكابدونه من جهد في تصريف أمور الملك وتدبير شئون الرعية ، وإعمال الفكر في سد الثغور ورتق الفتوق . وكانوا في مثل ذلك يفزعون إلى السمار الظراف يتفكهون بأحاديثهم وملحهم . فتقدم هشام إلى خادم له أن يبغيه محدثاً ، وأن يكون أعرابياً أهوج شاعراً راوية ! ومن يكون ذلك المحدث الأعرابي الأهوج الشاعر الراوية غير أبي النجم؟

وذهب الخادم يبحث عن طلبة الخليفة فقاده حسه اللطيف إلى أحد المساجد ، وإذا هو برجل نائم فضربه برجله وقال : قم ، أجب أمير المؤمنين . فقال الرجل : أنا أعرابي غريب . قال : إياك أبغي ، فهل تروى الشعر ؟ قال : نعم ، وأقوله . فأقبل به من المسجد حتى أدخله قصر الخليفة وأغلق الباب وراءه ؛ فذكر الرجل حادثته مع هشام فرجف قلبه وأيقن بالشر المستطير ! ولكنه أسلم لله أمره ، واستقاد للخادم ؛ فأدخله إلى أمير المؤمنين في بيت صغير من بيوت القصر ، بينه وبين أهله ستر رقيق والشموع تزهر بين يديه . فلما بصر به هشام قال : أبو النجم ؟ قال : نعم ، طريدك يا أمير المؤمنين . فأذن له بالجلوس وسأله عمن كان يضيفه ؛ فأخبره خبر الكلبي والتغلبي . قال : وكيف اجتمعا لك ؟ قال : كنت أتغدى عند أحدهما وأتعشى عند الآخر . قال : وأين كنت تأوي ؟ قال : في المسجد حيث وجدني رسولك

وأطرق هشام برهة لعله راجع فيها نفسه فندم على ما كان منه مع أبي النجم ! ثم رفع رأسه وقال له : ما لك من الولد

(١) ديوان المعاني ١ — ٢٧٢
(٢) وردت القصة في العقد والأغاني والكامل للمبرد وخزانة الأدب للبغدادي باختلاف يسير (٣) لقست نفسه : غثت

والمال؟ قال: أما المال فلا مال لى، وأما الولد فلى ثلاث بنات وبُنىّ يقال له: شيبان. قال: هل أخرجت من بناتك؟ قال: نعم؛ زوجت اثنتين وبقيت واحدة تجمز(1) فى أبياتنا كأنها نعامة. قال وما وصيت به الأولى؟ – وكانت تسمى برّة – قال:

أوصيتُ من بَرّة قلباً حُرا ... بالكلب خيراً والحماة شرّا
لا تسأمى ضرباً لها، وجَرا ... حتى ترَى حلو الحياة مُرّا
وإن كستك ذهباً ودُرا ... والحىّ عَمّيهم بشرٍّ طُرّا

فضحك هشام، وقال: فما قلت للأخرى؟ قال: قلت:

سُبّى الحماة وابْهتى(2) عليها ... وإنْ دنتْ فازدلفى إليها
وأوجعى بالفِهْر(3) ركبتيها ... ومرفقيها، واضربى جنبيها
وقَمّدى كفيك فى صُدْغيها ... لا تخبرى الدهرَ بذاك ابنيها

فضحك هشام حتى بدت نواجذه، وسقط على قفاه! وقال: ويحك! ما هـذه وصية يعقوب لولده! قال: ما أنا كيعقوب يا أمير المؤمنين ولا ولدى كولده

قال: فما قلت للثالثة؟ قال: قلت:

أوصيك يا بنتى فإنى ذاهب ... أوصيك أن يحمدك الأقارب
والجار والضيف الكريم الساغب ... لا يرجع المسكين وهو خائب
ولا تنى أظفارك السلاهب(4) ... لهن فى وجه الحماة كاتب
والزوج، إن الزوج بئس الصاحب

قال: فأى شىء قلت فى تأخير زواجها؟ — وكان اسمها: ظَلّامة — قال: قلت:

كأن ظلامة أخت شَيْبان(5) ... يتيمة ووالداها حيّان
الرأسُ قملٌ كله وصِئْبان ... وليس فى الرجلين إلا خيطان
وقُصّةٌ قد شيّطتها النيران ... تلك التى يفزع منها الشيطان

فضحك هشام حتى ضحكت النساء لضحكه! وقال للخصىّ: ما فعلت الدنانير المختومة التى أمرتك بقبضها؟ قال: ها هى عندى ووزنها خمسمائة. قال: ادفعها إلى أبى النجم ليجعلها فى رجلى ظلامة مكان الخيطين!

علي الجندي

(1) تعدو وتسرح
(2) اكذبى على التضمين وفى بعض الروايات: انهق. والنهيت: صوت الأسد دون الزئير، وقد رجح هذه الرواية العلامة المرصفى
(3) الحجر ملء الكف
(4) الطوال على المجاز لأنها فى الأصل وصف الخيل
(5) فى الأغانى والكامل: شيبان



صراع...!

سألتُ صديقى الأستاذ (عين) أن يعيرنى منظاره ساعة من زمان، علّى أرى من خلاله ما توسوس به نفوس قوم قضيت بينهم عمراً من عمرى، أحسن الظن بهم، وأقربهم إلى نفسى خشية أن يستشعروا الوحدة، وأنزل لهم عن بعض مالى خيفة أن يجدوا لذع العوز، وأواسيهم فى البأساء ضناً بقلوبهم أن يأكلها الأسى و... ؛ فلما أعرضت الأيام عنى، انطلقتُ أفتش عبثاً، وإذا أنا على حَيْد الطريق، وحيداً تكاد تعصف بى أعاصير الحياة لولا بقية من أمل...

وأراد صديقى الأستاذ (عين) أن تكون له عندى يدٌ أخرى، فقدّم إلىّ منظاره فى رضى، فوضعته على أنفى فى خيلاء، ودلفت إلى الشارع فى أناة وتؤدة، وهو من ورائى يشيعنى بنظراته الباسمة

وخشيت أن ينزلق المنظار من على أنفى وأنا أتخطر فى مشيتى، ومالى عهد بالمناظير، فيتحطم وأنا به ضنين؛ فانتحيت ناحية أصلح من شأنى وشأنه، وأزوّر فى نفسى أمراً، فما راعنى إلا صوت يناديني باسمى

والتفت فإذا صديقى (م) وزوجته يسيران الهوينى جنباً إلى جنب وذراعاً فى ذراع، وقد عرته حمى الضحك حين رآنى أقلب المنظار بين يدى، أضعه على عينى مرة، وأخلعه مرة، فى حيرة وتردد؛ غير أنى تغاضيت عن مجونه وأنا أدنو منه

لقد نشأ صاحبى (م) – كما نشأت أنا – بين ربوع الريف فى ظل القرية الوارف الجميل، لم تلوث المدنية دمه الطاهر، ولا دنست الحضارة قلبه الزكى. عرفته وعرفنى أول عهدى بالمدرسة، فهو أول من جلست إلى جانبه فى فصل، وأول من تحدثت إليه فى مدرسة، وأول من سكنت إليه فى درس، وأول من لاعبته... ودرجنا ودرجت معنا الصداقة الجميلة الرفافة، والأيام تجمع بيننا وتفرق، ونحن على عهد من الود

لا تقطعه ، وميثاق فى الهوى لا تخيس به ، وفى القلبين أواصر لا تستطيع نوازع الحياة أن تعبث بها ، ولا تطمع حاجات العيش فى أن تطغى عليها

وبهرت المدينة صاحبي أول ما هبط القاهرة ، وهو قد هبطها طالباً فى الجامعة، فاستلبه بهرجها من وقار القرية وحيائها ليقذف به فى هذر الحياة ومجونها ، وجرفه التيار وهو عنيف ، فما استطاع أن يخطو الخطوة الأخيرة من تعليمه الجامعى إلاَّ وهو يلهث من أثر الإعياء والبهر ، ثم أرخى لنفسه العنان

وتعرف إلى ابنة (فلان) بك ، وهو عين من أعيان القاهرة استطاع أن يخلق من جاهه وظيفة مرموقة يقدمها مهر الزواج إلى زوج ابنته الوحيدة ... إلى صاحبي

وشاء (البك) ألا يحرم النظر إلى وحيدته ، وهي قرة عينه وفرحة قلبه ، وما فى القصر سواها بعد أن ماتت عنها أمها ، وسوى زوجته الجديدة ، وهي فتاة فى فجر العمر وثورة الشباب تزوجت من (البك) وفاء دين كان على أهلها ، فلمست فيه برد شبابها المضطرم ، وأحست بعد ما بين شيخوخته الذاوية وبين نضارتها المتألقة ، فانطوت على نفسها تبكى حظها العاثر ، ثم ...

ثم أشرق صاحبي الشاب فى الدار فابتسمت له حين وجدت فى غدوه ورواحه حياة تتوثب

وعاش الفتى فى هذه الدار يتغنى بالسعادة ويترنم بالهناءة ، وهو يحدثنى حديثه — بين الفينة والفينة — فأستبشر لكلماته ويطمئن قلبي

لا جرم ، فالآن قد نفذ بصرى من خلال المنظار إلى الحقيقة التى لا يعرفها صاحبي ، الحقيقة التى إن جاشت بها نفس الزوج طمّت عليها ابتسامات الزوجة الرقيقة ...

هذه هي الزوجة الطيعة الوفية تتراءى لى وهي تنظر إلى زوجها الريفي الساذج فى احتقار وسخرية ، وفى نفسها أنه صنيعة أبيها ويد من أياديه ، أقامه وهو يتكفأ فى مضطرب الحياة ، ولمّ شعثه من شتات ، وخلق منه رجلاً ذا مال وأنق وهو على خطوة من التصعلك ، ثم هي لا تحس باحترامه ولا تشعر بكرامته ، وكيف ؟ وهو قريب عهد بآداب الجماعات والحفلات ، لا يعرف الرقص ، ولا يتقن (البوكر) ، ولا يصبو إلى الأصفر والأحمر من شرابهم

وإن حمرة الخجل لتربط على لسانه إن هو جلس إلى فتاة غريبة ، وإن فورة الغيظ لتسيطر عليه إن جلست هي إلى شاب غريب ؛ وهي فتاة من بنات الشارع[1] ترى فى طباعه زمت الأغبياء ، ورجعية الفقراء ، واضطراب الجهلاء ، فتعبث به ، وهي فى مأمن من ثورته ، لأنه عبد أبيها ...

ورحت أحدق فى الزوجة لأتغلغل إلى خلجات ضميرها ... وهي تتصاغر فى عينى ، وهو يتضاءل تحت منظارى ، حتى بلغنا سيارة (البك) ، وفيها زوجته الشابة تنتظر ... لقد أرادت أن تخلو إلى نفسها ساعة تدبر أمراً ...

وعجبت أن رأيتها تلتصق بصاحبي تريد أن تستشعر الدفء من شبابه ، وهي تحاول أن تصرفه عن زوجته رويداً رويداً لتستمتع به ، وفى قصر زوجها ، غير أنها كانت تخشى صولة (البك)

ونظرت إلى زوجة صاحبي فألفيتها لا تستطيع أن تلمس خواطر تنزى فى قلب زوجة أبيها ، لأن حياتها المائجة كانت قد أسدلت على عينيها ستاراً لا ترى من فروجه إلا الحفلات والسهرات ، وإلا الزينة والسمر ، وإلا ... فأوشك البيت أن يتداعى عليها

وعجبت لهذا الصراع النفسانى يحوم حول صاحبي وهو عنه فى غفلة ؛ فرفعت بصرى إلى السماء أحوله عن بعض ما رأيت ؛ غير أنى ذهلت أن رأيت صفحة من صفحات القدر منشورة أمامى أقرأ فيها : أن (البك) قد مات ، وأن النزوات المكبوتة قد ثارت . فيا ترى من ذى التى تفوز ؟

* * *

وأنت يا صاحبي لا تلْحنى فلقد كتبت لك سطراً من حياتك علك تجد لنفسك مخرجاً قبل أن تتردى

(مشتهر) كامل محمود حبيب

(١) ابنة الشارع : علم على الفتاة الحديثة التى تذر الدار وتنطوى عن أعمالها لتتقن فن الشارع ، وسنتحدث عنها فى مقال آخر ، إن شاء الله .

من تاريخ الأدب الانجليزي

الأدب القصصي
في عهد الملكة اليزابث
١٥٥٨ – ١٦٠٣

للأديب مصطفى مشعل

مقدمة

تعتبر القصة منذ أقدم العصور فناً قائماً على قوة التخييل ، واستخلاص أفضل النتائج التي يحسن توجيه الشعب إليها ، وبث العقائد أو المثل العليا التي يدين بها الكاتب

ومن المعروف أن أدب القصة هو الأدب الذي يتأثر به القارئ أكثر من تأثره بسواه ، وأنه الأدب المحبوب الذي يتذوقه المطالع تذوقاً شهياً دون ملل ، أو إرهاق فكر . فهو إذن أشد الآداب اتصالاً بالروح ، وتصويراً للشعور ، ووصفاً للبيئة ، ومعالجة للحياة في جميع أوضاعها ... فالقصة هي أحسن أدب يمثل الحياة .

ولا شك في أن الكاتب الروائي يستطيع – إن ملك القدرة على نسج الخيال بالحقيقة ، واستطاع سرد قصته دون أن يمل قارئه النجاح – بسهولة في جعل هذا القارئ يعيش ويحيا مع أبطال قصته ، فيفرح لفرحهم ويتألم لألمهم كأنهم أشخاص يعيشون على مسرح الحياة لا مسرح الخيال

ومن الحقائق المعروفة أيضاً عن الأدب القصصي أنه أداة فعالة في النفوس ، فنحن مثلاً إذا سمعنا قصة حياة شبيهة بحياتنا نشعر بفرح هائل يملك علينا إحساسنا ، إذ نرى في إحساسات غيرنا وشعوره صورة ناطقة لشعورنا وأحاسيسنا ، حتى ولو كان ذلك الشعور وهذا الإحساس ألماً لشيء أو أسفاً عليه ، فالطبيعة البشرية تجد في هذه المشاركة في الشعور والوحدة في الألم أملاً جديداً ، وشجاعة تواجه بها الأحداث والمتاعب

أما إذا كان الوصف والتصوير الذي نطالعه هو وصفاً وتصويراً لحياة جديدة لا نعرفها ولا نحياها فسرعان ما نلمس في نفوسنا حناناً لهذه الحياة متأثرين بما نقرأ عنها من وصف ... مشغوفين بما نتخيله عنها سواء كان هذا التخيل الذي يدفعنا إليه الكاتب يتجه نحو النور أو الظلام ... نحو الفرح أو الحزن ؛ وهكذا ينمو ذلك التأثر وهذا التخيل حتى ندخل في حماة الحياة الجديدة ونعيش فيها شاعرين بلذة لا توصف ، لأننا شاركنا أبطال القصة في حياتهم ، وفي فرحهم وترحهم

ونحن نستنتج من هذا أن القصة الواقعية التي تصف حياة رجل أو امرأة وصفاً حقيقياً تفوز بعطفنا وإعجابنا ، ولكننا سرعان ما نشعر بفتور يستولى علينا ، لأن أبغض شيء إلى المرء هو أن يرى آلام حياته تمثل أمامه أو تسرد عليه مرة أخرى .. إنه يكتسب من ذلك أملاً ولكنه لا يكتسب لذة ... وذلك لأن القصة الواقعية قد عدمت في سطورها ذلك الشيء المجهول الذي نشعر به ولا نعرفه ، واللذة غير الأمل ... فاللذة التي يحسها القارئ لقصة مزجت فيها الحقيقة بالخيال السّاوري هي تلك اللذة التي يحسها كل بشري عقب استطلاع شيء مجهول . . . عقب الخوض في عالم جديد لا يعرفه ولم يحيَ فيه

ومن ذلك نرى أنه كان لزاماً على القصاص أن يخترع المواقف والمفاجآت التي يوحيها خياله ليضمن تتبع القارئ له تتبعاً مستمراً غير منقطع ... وكان عليه أن يشوق القارئ إلى النهاية المحبوكة ، وأن يجعله يعجل القراءة محاولاً أن يصل إلى آخر مرحلة من مراحل هذا الخيال المسترسل وإلى خاتمة هذه المفاجآت المتصلة ، لأنه – أي القارئ – لا يستطيع إدراك نهاية القصة ولا يستطيع أن يحزرها حزراً يقرب من الصواب ، لأنه لم يشعر ولم يتذوق مثل الحياة التي تصفها القصة وتصورها

شارلمان ورولاند (١)

كان هذان الرجلان هما أول من بذرا بذور هذا النوع الذي تحدثت عنه ، فاستقبله الكتاب الواقعيون بشيء غير قليل من اللهفة والشغف والرغبة القوية في التقليد ، فما زالوا يفكرون بين مترددين ومقدمين حتى جرفهم التيار فإذا بهم مقلدون . وهكذا شاع وذاع هذا النوع السائغ السهل الهضم في المدة الأدبية ، وابتدأ الخيال يلعب دوره في القصة ويشتط شططاً كبيراً ويجمح جوحاً غريباً

(١) Charlemagne and Roland

حتى اعتاده الناس وتقبلوه تقبلاً حسناً ولكن الكتاب أمعنوا فيه إمعاناً شائناً مبتذلاً ، فكان ذلك وبالاً على هذا النوع من القصة إذ تحول القراء عنه . وهكذا راح يخبو ويندثر ليظهر على أعقابه نوع جديد من الأدب الذى كتب واصفاً بعض حوادث التاريخ القديم وسمى بالقصة (١)

قصة « يوفيس » لجون ليلى (٢)

إذا أراد الكاتب أن يتحدث عن العصر الإليزابثى ومخلفاته وأن يتكلم عن القصص الموفق الذى ظهر وأحدث ضجة كبيرة لما وجد أمامه إلا قصة رائعة بل هو أروع آثار هذا العهد اطلاقاً من حيث قوة الفكرة وحسن الأسلوب ولما اشتملت عليه من مغزى

كتب هذه القصة شاب نابه يدعى جون ليلى وكان اسمها « يوفيس » ، ونحن إن أردنا تحليل الأسباب والدوافع التى كانت سبباً فى ظهور هذه القصة وتفوقها على كل ما عداها استطعنا ذلك بقليل من الاستنتاج . فالقصة لم تكتب جزافاً ولم يضعها صاحبها لمجرد الرغبة فى الكتابة أو الشهرة ، بل إنه أراد بها مغزى عظيما ، إذ حاول أن يظهر ويصف التأثير السيء والانحطاط الخلقى الذى كانت الحياة الاجتماعية فى إيطاليا تؤثره فى معشر الشبان الانجليز النازحين إليها لتلقى العلم والمعرفة

لقد كانت إيطاليا فى ذلك الوقت بلاد النور الخلاب يتهافت عليها طلاب العلم ، وتفيض هى على العالم علماً وعرفاناً ، حتى لقد كان يحج إليها كل متعلم أراد أن يتم حظه من الثقافة أو يزيد نصيبه من العلم . واقتبست انجلترا هذه العادة عن غيرها من الأمم منذ رحل إلى إيطاليا بعض المجدين من طلبة العلم الذين أظهروا نبوغاً فى الأدب من أمثال : كوليت ولينا كر وجروكن لدراسة اللغة اللاتينية وآداب الإغريق الكلاسيكية التى كانت دراستها باعثاً قوياً فى نهضة أدب المسرح والقصة ... واستمرت هذه العادة عند الطبقة الراقية كتقليد لا بد منه لكل من أتم دراسته حتى بعد أن شرعت الجامعات الإنجليزية فى تدريس هاتين المادتين ولم يكن جون ليلى هو أول من فطن إلى ذلك ، بل إن أول من أراد منع هذا التقليد هو مؤدب الملكة روجر آشام Roger Acham ، فلقد أدرك روجر أن هؤلاء الذين يحجون كل عام إلى إيطاليا بحجة الدراسة إنما يرحلون دون نية أو مقصد حقيقى لذلك . فلقد كانوا يجتمعون هناك فى مدرسة واسعة حيث كانت الآداب الإغريقية الرائعة تعتبر فيها مادة للهو والتسلية ، إذ كانت تترجم إلى اللغة الإيطالية الدارجة بأسلوب وضيع ولغة فجة ، فتحولت عن مغزاها العالى الذى كتبت من أجله إلى أداة للاستهتار والتسلية ليس إلا . فأشار روجر إلى كل ذلك فى كتاب تقافى (١) وضمنه وحمل فيه على العقائد والمثل العليا فى إيطاليا حملة شعواء ، وبين الأخطار الهائلة التى تعود على الأمة من جراء إرسال أبنائها وصفوة شبابها إلى بلاد لا يدين قومها بشىء ، بل هم ساخرون هازلون بالعقائد الإلهية والقوانين المرسلة ... ولكن الكتاب رغم ذلك كله لم ينل النجاح الذى قدره روجر له ولم يف بالغرض الذى أراده ، لأنه كتب بأسلوب علمى لا يشجع على القراءة ، وإن كان قد مهد به لبحث مسألة حيوية لجيل من الشباب .

كان روجر صادق النية فى محاولة تخليص أمته من تأثير إيطاليا ، ولذا لم يرض هو نفسه عن كتابه هذا ... كان يريد كتاباً من نوع آخر ... كتاباً يقرأه الخاص والعام ، فيخرج منه متأثراً منضما لروجر فى فكرته ، مؤيداً له فى وجوب القضاء على هذه العادة ... ولكنه لا يستطيع كتابة هذا الكتاب لقلة فراغه وكثرة مشاغله ... فماذا يفعل ؟ ...

تذكر الشاب المغمور جون ليلى وعرف فيه القدرة على وضع الكتاب المنشود والبراعة فى الوصف والتأثير على القارىء ، فأوحى إليه أن يضع قصة يبين فيها آفات المجتمع الإيطالى وخطره العظيم على شبيبة ناشئة والنتيجة السيئة لهؤلاء الذين يعيشون فى وسطه وما زال دم الشباب يجرى فى عروقهم حاراً عنيفاً ... وما زال بهم ظمأ شديد للعب والوثب ... وظمأ أشد للحب والمرأة ... وشغف لا يقاوم بحياة الليل المسممة بين رنين الكؤوس وأصوات القبل .

وكان ليلى عند حسن ظنه به فدرس المؤثرات التى يستهدف لها الفتى الإنجليزى فى إيطاليا وبلادها وجعلها موضوعاً لقصته العظيمة « يوفيس »

(١) Novel
(٢) Euphues. by John Lyly

(١) اسم الكتاب : Scool Master

كان اسم « يوفيس » اسماً مقتبساً عن الإغريقية ، ولعل هذا هو ما حدا به لأن يجعل بطل قصته شاباً من شباب أثينا المفتونين أنهى دراسته ثم رحل إلى إيطاليا للدراسة، وفى طريقه عرج على « نابلى » وهناك التقى بآخر يدعى إيبوليس ... ولكن هذا الأخير عاقل فى بلدة أجدبت من العقلاء ؛ فهو ينصح يوفيس ، ولكن يوفيس لا ينتصح ... وهو يلومه ولكنه لا يرعوى ... وهو يحاول أن يفيده والآخر لا يريد ؛ فإذا ما مل نصحه ويئس من إصلاحه صمت على مضض ... ولكن رغبته فى إصلاح صديقه لا تلبث أن تعود فيضرب على الناحية الحساسة فى نفس يوفيس قائلاً :

— أى يوفيس البائس ... اعمل لأجل الله ولا تعمل لأجل نفسك ، واجعل حبه لا حب البشر هو المسيطر عليك ، واحذر أن تغضبه منك ، فإنك لو عملت له ، وأخلصت لذاته العظيمة ، باركك ورعاك ، فإنه عادل يحب المخلصين

ولكن أنى للجاهل العربيد أن يثوب إلى رشده ويعود إلى حظيرة الله ما دام الشيطان يطوف حوله ليسكب فى أذنيه أغانى الشر وأهازيج الدمار

لقد انخرط الأثينى الشاب فى زمرة الكسالى ، وراح معهم يعيثون فى أنحاء نابلى فساداً يبحثون عن اللذة أينما وجدت ، ويتذوقون كل محرم ويفخرون بما يأتونه كل يوم من ضروب المجون والعبث

وتصل القصة إلى أكثر أجزائها شدة وقوة فيعمد ليلى إلى ختم قصته ختاماً موفقاً حقاً إذ أرجع « يوفيس » إلى أثينا ... « رجلاً حزيناً عاقلاً » ... بل لقد جعل منه رجلاً آخر مخالفاً لشخصيته الأولى ... لقد أدرك آثام الماضى وشروره فراح يكتب الرسائل الطويلة إلى أصدقائه باسطاً فيها من الآراء الناضجة الكاملة الشىء الكثير ، شأن العارف الدارس بأسرار الحياة

ولعلك تستطيع أن تلمح من بين سطور القصة قوة المؤلف الذى استطاع أن يصف ما أراد من نزق وجنون ، وعبث ولهو ، ثم ندم واستغفار ... ووقار وحكمة

لقد أراد ليلى أن يجعل الناشئة تتمسك بأهداب الفضيلة بأن أخذ يسرد عليهم سرداً قويا التقاليد السيئة المتبعة ليجتنبوها ودعا فيما دعا إليه إلى دراسة الكتاب المقدس ليستوحوا منه العظات ولكى يستطيعوا التغلب على نزعة الإلحاد التى كانت تنتشر فى إيطاليا بلد العلم والعرفان !

وهكذا لم تلبث القصة أن ذاعت ذيوعاً عظيما حتى لقد صارت أحب الكتب الأدبية إلى الناس

كانت حديث الطبقات الراقية ... بل لقد تناقل الإعجاب بها موظفو البلاط الملكى نفسه

على أنه مما ليس فيه شك أن هذه القصة لو لم يعرف مؤلفها أدواء الجيل لما لقيت من هذا النجاح الفذ قليلاً أو كثيراً ، بل لما سمع عنها فى هذا الوقت ، فإنما قامت شهرتها على قوة أسلوبها وقوة بصيرة مؤلفها وقدرته على معالجة الحوادث الخارجية التى كانت تحيط بالناشئة ؛ والتى كان الشعب يجهلها رغم أنها كانت سائدة بينه ... فعلى هذا الأساس المتين نالت القصة هذا المركز الفذ الذى لا يدانى فى العهد الإليزابثى كله

الأساليب القصصية

كانت الدراسة الطويلة للآداب الإيطالية وأساليبها من أقوى المؤثرات فى الأسلوب الذى ساد فى هذا العصر ... لقد عنى الكتاب بالظاهر فى أسلوبهم أكثر مما عنوا بالفكرة فى كتاباتهم . ونحن إذا تعمقنا قليلاً فى الأساليب التى استعملت فى هذا العهد وجدنا فيها شيئاً غير قليل من محاولة التلاعب بألفاظ وحروف اللغة ومحاولة جعل أوائل أو أواخر الكلمات متشابهة فى جرسها أو رنتها الموسيقية كالسجع فى اللغة العربية مثلاً

وقبل أن أنتقل بالقارئ إلى نوع آخر استعمل فى الأسلوب الإنجليزى لهذا العهد أحب أن أنقل هنا جملة من الأسلوب الذى تحدثت عنه وهى من قصة « يوفيس » :

If I were as able to persuade thee to patienee as than wert desirous to exhort me to piety.

أما النوع الآخر فقد سموه أسلوب التباين أو الموازنة المضادة وأنا أنقل منه هنا بضع جمل لسهولة الفهم :

She was young and might have live, but she was mortal and must have died.

وإليك جملة أخرى :

Thou shouldst not weep that she hath run fast, but that thou hast gone so slow.

وتفيض كتابات هذا العصر بمثل هذا الأسلوب الأخير ، كما نفيض بالأسلوب الأول . وبقدر ما كان لهذه الأساليب من ميزة إن صح أن كان لها ميزة ؛ كان الشعور العميق والاختلاجات الحقيقية صعبة الإظهار ... صعبة البيان ... تحتاج إلى كثير جداً من المهارة والحنكة والتصرف والإلمام بكلمات اللغة ... وخلق المرادفات التي لا يستثقلها السمع ولا ينبو عنها الذوق ، وفي كل هذا من الإرهاق والجهد ما يفوت المقصد الحقيقي على الكاتب ، بل ويمعن به في البعد عن الموضوع إمعاناً معيباً جرياً وراء هذا السجع ، أو ذاك التباين ، فإنه مما لا شك فيه أن محاولة تصيد الحروف الأولى للكلمات أو الحروف الأخيرة تقف — في غير الشعر — حجر عثرة في سبيل الأسلوب المستقيم .

* * *

هذه هي أهم الأحداث في تاريخ الأدب القصصي في هذا العهد الذي ابتدأ عام ١٥٥٨م إلى ١٦٠٣م

ولا شك أن القارىء لاحظ معي أنني قصدت الكلام عن قصة يوفيس، ولكني لم أفعل ذلك إلا لأن هذه القصة هي أعظم أثر أدبي لهذا العصر فضلاً عن أنها تمثل في أكثر أسلوبها الأسلوب الذي ساد ... الأسلوب الذي كان أشبه ما يكون بالطلاء اللامع الذي يخفي وراءه عيوباً كثيرة، حتى لقد سخر عميد اللغة الإنجليزية وليم شكسبير منه إذ كان يجريه على لسان بعض أبطال قصصه البلداء الفكر

قصة جديدة لجون ليلي [1]

كتب ليلي هذه القصة عام ١٥٧٩ بعد قصته الأولى بعام واحد وهي عبارة عن رواية لزيارة « يوفيس » لانجلترا وانخراطه في الحياة الاجتماعية الإنجليزية

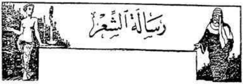
وكانت القصة محتفظة بروح المؤلف . . . وتقد فيها العادات الإنجليزية والجامعات الإنجليزية ، لا بقصد التشهير والهدم ، وإنما للاصلاح ووضع القواعد الثابتة الناجحة لمساعدة الشبان الناشئين

وكان يوجد بجانب ليلي بعض الكتاب الذين ساهموا بنصيب وافر في خدمة أدب القصة في هذا العصر ، ومن هؤلاء كاتبا المأساة لودج وجرين ، والأخير كتب عدداً كبيراً من القصص القصير اقتبسه عن الإيطالية ... واشتهرت كتابته بميسم الحزن والألم ؛ ولعل ذلك يرجع إلى المرض الذي عاناه والذي جعله ينظر إلى العالم بمنظار أسود ، حتى لقد كتب عن هذا اليأس والحزن قصة طويلة جعل اسم بطلها « روبرت » وهو اسمه الأول

أما الكتاب الآخرون ، فلم يظهروا إلى جانب من ذكرت إما لضعف أسلوبهم أو لقلة ثقافتهم

الأسكندرية مصطفى مشعل

(١) Euphues and His England



رحلة عابسة

للأستاذ أحمد محرم

من دمنهور عاصمة البحيرة التى هي مقر الشاعر إلى القاهرة ، ومن القاهرة إلى الاسكندرية من طريق الصحراء ، انطلقت به السيارة هو وصديق له ، فمر في طريقه بدنشواى والقناطر الخيرية والأهرام ، فتنكرت شاعريته لكل هذه المشاهد ، أو هى قد تنكرت لهذه الشاعرية الساخطة ، وحسبه أن يكون فى جوف الصحراء فيحسب أنه فى نفق من الأنفاق ، وأن يكره الشمس فيراها تخلع رداء الحسن والاشراق ، ويشهد الروض يكره نفسه ، فيلقى بما فيه من زهر وأوراق . وهذا ما يقول في هذه الرحلة العابسة :

عصف الهوى بجوانح المشتاق   وهفا الحنين بقلبه الخفاق
ما يصنع القلب الطروب إذا الهوى   بلغ القرار ، وجال فى الأعماق ؟
يا صاحبي : فيم المقام على الأذى ؟   سر ، فالبلاد فسيحة الآفاق
اركب جناح الريح واستبق المدى   بعد المدى (بالشاعر السباق)
ماذا تظن بنا المدائن والقرى ؟   الركب ركبى ، والرفاق رفاقى
وأنا الذى أحببتها ، وجعلتها   دار الهوى ، ومحلة الأشواق
ولكم سقيت ربوعها من أدمعى   والباكيات جوامد الآماق
لاذت بأروقة البيان فلم تجد   فى الحادثات النكر مثل رواقى
أدب تحصن بالمروءة فازعوى   عنه المساوم ، واتقاه الراقى
ما كنت أحسب والخطوب كثيرة   أن القريض يباع فى الأسواق

قل للجداول والزروع : تحدثى   فى غير ما وجل ، ولا إشفاق
ماذا يمارس من شدائد دهره   من أنت كل رجائه ، ويلاقى ؟
ولمن جناك ؟ ألِلَّذى هو زارع ؟   أم أنت للجانى بلا استحقاق ؟
ويلى على (فلاح مصر) أما كفى   ماذاق من عنت ومن إرهاق ؟
يغنى ألوف المترفين بماله   ويعيش فى فقر وفي إملاق
سبحان من شرع السبيل لخلقه   أكذا يكون تفاوت الأرزاق ؟

ولقد مررت (بدنشواي) فهاجنى   وجد على مر الحوادث باق
تلك السياط على الجلود وهذه   سود الحبال تشد فى الأعناق
وأرى دموع الثاكلات هواميا   تجرى فتغرق فى الدم المهراق
ترمى النفوس وما بها من قوة   ترع الرماة وما لها من واق
عرف (الحمام) مصابها فكأنما   لبس الأسى فى هذه الأطواق
لولا الألى حملوا السلاح لصيده   لم يسقها الموت المسمم ساق

سر يا رفيقى ، ليتنى فى محبسى   ولسوف أمنع أن يحل وثاقى
أهى (القناطر) فى بديع جمالها ؟   أم تلك بعض مقابر الأخلاق ؟
لا تظلموا العشاق يا قومى ، فما   أبصرت غير مسارح الفساق
ودعوا العهود ، فما وجدت لمدع   فى الحب من عهد ، ولا ميثاق
الحب ما صرف القلوب إلى المدى   وسما إلى الجوزاء بالأحداق
دين المروءة والوفاء ، وإن هو   زعموه دين تصنع ونفاق
القبر أطيب من فؤاد منافق   خدع النفوس بظاهر براق

ما هذه (الأهرام) ؟ ما لبناتها   ساقوا أمور الملك شر مساق
هدموا القوى فيها يشد بناؤها   ويقام أطباقا على أطباق
هى إن أردت الحق شاهد قسوة   يخزى الوجوه وآية استرقاق
أفما تراها ، كلما استنطقتها   زادتك من صمت ومن إطراق ؟
خرس يجللها الحياء ، وما بها   إلا ضلال (الساسة الحذاق)
قال الألى فتنوا بها : مستودع   للسر ، غودر محكم الأغلاق
دع ما يريبك من وساوس معشر   عكفوا على التهويل والإغراق
دار تجير من الزمان وصرفه   وتصون ما أبقى من الأرماق
خير من الصرح المقام لظالم   جافى الطباع إلى الأذى تواق

سر فى القفار البيد ، ما لراكبنا   من حابس فيها ، ولا معتاق
رحبت جوانبها ، فنحن نظنها   أخلاق حر ماجد الأعراق
أتظن أنا فى فسيح فضائها   أم نحن فى نفق من الأنفاق ؟
إصبر ، ولا تعجب لما أنا قائل   فالهم ويحك آخذ بخناقى
وكأنما أنا والأحبة حضر   حولى صريع نوى ونضو فراق

آمـــال كاذبة

للدكتور ابراهيم ناجي

لا البرء زار ولا خيالك عادا ... ما أكذب الآمال والميعادا
عجباً لحبك يا بخيلة ! كيف يخـ ... لق من جوارح عابد حسادا ؟
إني لأهتف حين أفترش المدى ... وأرى الجحيم لجانبيَّ مِهادا :
آهاً على الرأس الجميل سلاً وأغـ ... فى مطمئناً لا يحس سهادا
فرشتْ له الأحلام واحتفل الهدو ... ء به ومدَّ له الجمال وسادا
يا حبها ما أنت ما هـذا الذي ... جمع الغريب وألّف الأضدادا
كم أشرئب إلى سماك بناظري ... مستلهماً بك قوةً وعمادا
ولكم أبيتُ على السآمة طاويا ... في خاطري شبحاً لها عوّادا
فأراك تعبث بي كطفل في السما ... ء يصرّف الأقدار كيف أرادا!!
ولكم أقول هويً كما بدأ انتهي ... فإذا الهوى وافى النهاية عادا
مات الرجاء مع المساء وإنما ... كان الممات لحبنا ميلادا
ماذا صنعت بناظرٍ لا ينثني ... متطلعاً متلفتاً مرتادا
وأنا غريب في الزحام كأنني ... آمال أجفان حُرِمن رقادا
ولقد ترى عيني الجموع فما ترى ... دنيا تموج ولا تحس عبادا
فإذا رأيتك كنت أنت الناس والـ ... أعمار والآماد والآبادا
وأراك كل الزهر، كل الروض أنـ ... ت لديَّ كلُّ خميلة تتهادى

ناجي

إنا اجتمعنا للرحيل ، يضمنا ... فكأننا لم نجتمع لتلاقِ
ذقتُ الخطوبَ فما وجدتُ مرارةً ... كمرارة الحرمان والإخفاقِ
ما كنتُ أوثر أن أفارق موضعي ... لولا القضاء وحكمةُ الخلاقِ

مالي رأيتُ الشمس حين كرهتها ... خلعت رداء الحسن والإشراق؟
ولقد شهدتُ الروضَ يكره نفسه ... لما رمى بالزهر والأوراقِ
للعبقرية من هوى أربابها ... علمٌ نجوّده ، وفنٌّ راقِ
أمّ البدائع ، ما يحدّ نطاقها ... إن حدّد الأقوامُ كلّ نطاق
هي للرجال على الخصاصة والغنى ... أغلى الكنوز، وأنفسُ الأعلاقِ

أحمد محرم

سـأغني

[مهداة إلى « لولو » الصغير ...]

للأديب عبد العليم عيسى

ظمئتْ روحي وضـاقت رَحَباتي
واحتوت قلبي الدمى كرباتي
فاتركوني أتغنّى في حياتي
ذاهلاً عن كل موجودٍ وآتِ
سأغني ! سأغني ! ! فدعوني ... إن روحي ترتوي من نغماتي

لستُ منكم ... فاذهبوا عني بعيدا
ثم ضجوا واقصفوا قصفاً شديدا
واملأوا الكونَ صُراخاً لن يبيدا
إن أحلاميَ لا تهوى الرعودا
دربكم خالف دربي وطريقي ... فاتركوني هائماً في سبحاتي

قد كذبتم ... وأنا كنتُ صدوقا !
وغلظتم ... وأنا كنت رقيقا !
وقسوتم ... وأنا كنت رفيقا !
ورسفتم ... وأنا كنت طليقا !
فلماذا ... تحسبوني مثلكم ... من بني الطين وعبد الظلمات

إسألوا عني السواقي والزهورا
وضفافَ النهر والحقل النضيرا
أنا أهواها ... ولا أهوى القصورا
فجّرتْ قلبي ففنّيتُ كثيرا
وهي تدري حسّاتي وميولي ... وطباعي ونزوعي وصفاتي

الأدب في أسبوع

نقد

كتب الأخ الفاضل الأستاذ سلامه موسى في مجلة اللطائف (٨ إبريل سنة ١٩٤٠) كلمة يتعقب بها كلامنا في (الفن الفرعوني ، وتمثال نهضة مصر) المنشور في عدد الرسالة ٣٤٥ في ١٢ فبراير سنة ١٩٤٠ ، وجعل عنوان نقده « تعارض التيارات الفكرية ، وضررها على التطور الاجتماعي والثقافي » وسنلخص لك نقده ثم نتبعه ببعض ما يجب علينا من تحرير رأينا ، وتقدير رأى الأستاذ الفاضل ، يقول : إن الأفكار تتعارض في كل أمة حرة ولكنه لا يخرج بها عن أسلوب الحياة العامة من التوافق إلى التناقض والتنافر ، فيفضي ذلك إلى اختلال التوازن الاجتماعي ، فيتعاقُ الأمة عن الرقيّ والإصلاح . ويقول : إن بعض الآراء في مصر ليتناقض كما يكون التناقض بين أمتين متخالفتين ، وإن (العقلية المصرية) التي تفكر بها مصر في أنظمتها الاقتصادية ، والثقافية ، والاجتماعية ، والتعليمية ، والحربية : هي ضرورة الوضع الجغرافي والاحتكاك السياسي بأوربا ، وإننا لا نعيش فقط في القرن العشرين ، بل في سنة ١٩٤٠ من هذا القرن . ويقول ما نصه :

« ونستطيع أن نضرب الأمثال على هذا الاختلاف الذي يقارب التنافر . فقد ألّفَ الدكتور طه حسين بك كتاباً يدعو فيه إلى أن نجمل من الفن الفرعوني أحد المناصر في « الغذاء الروحي والعقلي للشباب » فتناول هذه الدعوة الأستاذ محمود محمد شاكر بالاستنكار حتى قال في مقاله بالرسالة : وعلى ذلك ، فيجب أن نقرر أن الفن المصري الفرعوني — على دقته ، وروعته ، وجبروته — إن هو إلا فنٌّ وثنيٌّ جاهلي قائم على التهاويل ، والأساطير ، والخرافات التي تمحق العقل الإنساني ، فهو إذن لا يمكن أن يكون مرةً أخرى في أرض تدين بدين غير الوثنية الفرعونية الطاغية — سواء أكان هذا الدين يهودياً أم نصرانياً أم إسلامياً أم غير ذلك من أشباه الأديان » . . .

ثم استمر فنقل بعض رأينا في الذي قلناه عن تمثال نهضة مصر

وهذا تعارضٌ عجيبٌ ، كما يرى الأستاذ سلامه موسى ، واختلاف في التيارات الفكرية يحمله على أن يدعو الاجتماعيين أن يحاولوا التوفيق بين هذه الآراء حتى لا يصير اختلاف الرأى الحر تناقضاً في العقائد المجزومة ، وحتى تُصبح أمة متمدنة تستطيع أن تنصت إلى الرأى المخالف في تسامح وأن تعبر عنه في اعتدال ينأى عن الحدة والتهور

ثم يقول الأستاذ الفاضل إنه يتوهّم مما كتبته أن الدكتور طه أو التمثال مختار يريدان منا أن نحنط الموتى ونعبد (رع) مع أن حقيقة ما طلبه كل منهما أن نستوحيَ هذا الفن المصرى القديم . ثم يقول عنى وعن الدكتور طه : « إن الاختلاف بين الكاتبين هنا يرجع إلى أكثر من ذلك ، وهو أشبه بالتنافر بين القائلين بعقيدتين متناقضتين ، ومصلحة الأمة تقتضى إزالة هذا التنافر بين الذين يكلفون هذه المهمة ، وكل رجل مثقف يهتم بالانسجام الاجتماعى في الأمة »

وهذا نهاية الرأى في كلام الأستاذ سلامة موسى نقلنا أكثره بنصه أو ما يقربُ منه . ونحن نشكر الأستاذ سلامة موسى على حُسن مقصده ورغبته في تحقيق الإصلاح الاجتماعى بإزالة كل العوامل المفرّقة بين الناس

التيارات الفكرية

ومن الغريب أن اليوم الذى صدرت فيه هذه المقالة في اللطائف ، هو نفسه اليوم الذى كتبنا فيه عن « الرأى العام وسياسته » في العدد الماضى من الرسالة ، وقلنا إن تعدد الثقافات في الشعب الواحد قد أفضى إلى شر آثاره ، حيث تنابذت العقول على المنى الصحيح ، واختلفت المناهج المؤدية إلى الغايات ، وكذلك يبقى الشعب إلى النهاية وهو في بدءٍ لا ينتهى ، وفي اختلاف لا ينفضُّ . وكما يرى الأستاذ سلامة موسى أن هذا التعارض البغيض بين الآراء مما يعاقُ رقيَّ الشعب ، ويمنعه من الاجتماع على رأى ، ويحرمُه فضيلةَ القوة التى تنفذُ به إلى غاياته ... كما يرى نحن نرى ، ونرى وراء ذلك كله ما هو أسوأ وأقبح — مما يستعاذ منه وتخشى مغبّتُه . فهذا إذن أمرٌ مفروغٌ من تقريره

بيننا وبينه ، وهى رغبة نتوافى جميعاً على العمل لها ، ونَشْرِى أنفسنا فى سبيل إنفاذها

وكان جديراً بالأستاذ سلامة موسى أن يرى مثل هذا الرأى فى الذى كتبناهُ ، ويعلم عِلْم ما طويناه فى نقدنا لرأى الدكتور طه ، ولعلّه لم يقرأ كل ما كتبناهُ فى العدد ٣٤٤ ، ٣٤٥ من الرسالة ، ولعلّه لم يتتبّع ما نقولُ به من الرأى فى باب «الأدب فى أسبوع» ، ولو قد فَعَلَ لعرف أن الرأى بيننا وبينه فى ذلك غير مختلف إن شاء الله

القرن العشرون

وما دمنا فى حديث تعارُض هذه التيارات الفكرية ، فقد كنت أحبُّ أن ينزّهَ الأستاذ سلامة موسى كلامه عن بعض التعريض ... وذلك تنبيه لنا أننا نعيش فى القرن العشرين ، وفى سنة ١٩٤٠ منه . فهل يَظُنُّ الأستاذ أننا نعيش فى غيره أو أننا نرى أنفسنا رِمَماً تاريخية عتيقةً قد انبعثتْ فى أجلادِ إنسانٍ (القرن العشرين) !

. . . الزمن لا يكون هو العلة فى إنشاء الحضارة ، وإنما تُستجدُّ الحضارة بالروح الإنسانية وبالإنسانية الروحية ، وإنما الزمن وحدوده تبع للانسان الحى ، ولا يكون الإنسان تبعاً للزمن إلا حين تفقد الروح إنسانيتها العالية ، وتفقد الإنسانية روحانيتها السامية ... وترتد الحكمة والحضارة والتهذيب وجميع الفضائل إلى منزلة الغرائز الدنيا التى تصرّف العجماوات من الأحياء فى سبيلها ، وعلى سنّتها ، وبقانونها ، ومن مدارجها النازلة إلى أغوار الحيوانية الفطرية

إن من أخطر التيارات الفكرية التى تهاوى فيها أكثر كتاب القرن الماضى ، والمخضرمون من كتاب القرن العشرين اعترافهم بالقرن العشرين وما فيه اعترافاً (تعبُّدياً) يكاد يكون إيماناً وعقيدة، فما أقنع منه بالبرهان والحجة فهو ببرهانه وحجته، وما لم يقنع فهو مردود إلى الأسرار الأزلية للحضارة ، وأنه هكذا كان ... وأنه هكذا خلق ، وأنه ما دام موجوداً فى حضارة القرن العشرين ، فوجوده هذا هو برهانه وحجته ... ! !

وأنا — مع الأسف — لا أعتقد فى هذا القرن العشرين اعتقاداً قلبياً مطمئناً بالإيمان ، لا لأنى أريد أن أرتدّ إلى الماضى لأعيش فى ظلماته وكهوفه وتهاويل خرافاته ، بل لأنى أرى أن حضارة الإنسانية يجب أن تتجدد بمبادئها النبيلة السامية التى كل أجزائها فضائل . أما هذه الحضارة الأدبية العصرية للقرن العشرين ، فهى حضارة حيوانية الفضائل ، ليس فى أعمالها إلا فتنة بعد فتنة . ولا نقول هذا فى العلم — معاذ الله — فإن العلم الحاضر قد استطاع أن ينفذ فى بعض أسرار الكون بأسباب كأسباب المعجزات ، ومع ذلك ، فقد كان هذا العلم نفسه ، هو ما اتخذوه تدليساً فى تمجيد حضارة القرن العشرين ، ليفتنوا الناس بها عن حقيقة الإنسانية الروحية المتجردة من أغلال الحيوانية النازلة المستفلة

الحرب

ويكفى أن تكون هذه الحرب التى أحدَّت أنيابَها ونشرت مخالبها ، وزأرت زئيرها ، ثم أسبابها التى نشأت عنها من المطامع الاستعمارية المتكالبة الضارية ، ثم ما سيكون من آثارها فى الأرواح الإنسانية والدنية الروحية ... يكفى أن تكون هذه الحرب — من جميع نواحيها وأطرافها ، وبجميع خلائقها وزمن هذه الخلائق — توصيماً كتوصيم الفجور الأسود فى الأعراض النقية البيضاء

هذه الحرب الفاجرة المتعرّية من جميع الفضائل برذيلة الكذب والخداع مما يسمونه الدعاية والسياسة — هى البرهان الحى فى أذهاننا جميعاً — أهلَ القرن العشرين ، على أن مدنية هذا القرن ، مدنية حيوانية الأصول والفروع ، هى مدنية مفترسة متوحشة ، لا تعترف بالحق ولا تعرف الحق ، وليس إلا ... الغذاء الغذاء ... الصيدَ الصيدَ ... : هذا نداؤها وهذا دينها وهذا إيمانها . ثم لا تكون منبتَّة أعمالها إلا تمزيقاً وقضقضة وقضماً ، وتدميراً لبنيان الله الذى يسمى « الإنسان »

الحرية !!

إن هذا القرن العشرين أسطورة مُهَوَّلة قد انحدرت من القدم إلى هذا الزمن ، فى دمها كلُّ الأساطير الحيوانية المرجفة فى تاريخ الإنسانية . إنه أسطورة عظيمة كاذبة مكذّبة على الناس، وإن فى مدنيته من الباطل ملء مُلوها حقاً . إنّ الأجيالَ

الإنسانية النبيلة لتصرخ من وراء أسوار التاريخ تريدُنا أن ننقذ أنفسنا من أوهام (القرن العشرين)، ومن خرافاته الجميلة المزينة بالعلم، المثيرة باللذة، المندلعة بألسنة من نيران الشهوات والأهواء، الصاخبة بعبادة الأوثان التي تجُول في أدمغة البشر حاملة ندَّها وبخورها ومجامرها وطيبها، وكل ما ينفذ عطره إلى أعمق الإحساسات يثيرها لتقديس البشرية المتجسدة بلذاتها وشهواتها

يجب — في هذا الزمن — أن نتحرر من أباطيل القرن العشرين وأباطيل القِدَم معاً، يجبُ ألاَّ نعرف الحاضر بأنه هو الحاضرُ وكفى، ولا الماضي بأنه هو الماضي وحسبُ، يجبُ ألا نتعبَّدَ بشيء من كليهما، يجبُ أن نأخذَ الحاضر والماضي بالعقل والعلم والفضيلة، وما لم يكن كذلك مما مضى ومما حضر فهو نبذٌ يجب أن ننبُذَه ونتجافى عنه، يجب أن نتحرر، يجب أن نتحرَّر ...

إننا الآن أممٌ تريدُ أن تسيرَ إلى غاياتها في إبداع حضارتها التي سترث جميع الحضارات التي سبقتها، والحضارةُ التي تأتي من التقليد ليستْ حضارة، وإنما هي تزييفٌ وكذبٌ ووثنيةٌ جاهلية تنحدر إلى هذا الزمن عن السلالات التي قال الله فيها: «وإذا قيلَ لهم: اتَّبعوا ما أنزلَ اللهُ، قالوا بل نتَّبعُ ما ألفينا عليه آباءَنا، أوَ لوْ كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون؟!»

لن نبلغ شيئاً حتى تكون (الحرية، والحب) نقيَّيْن طاهرين مبرَّأين كاملين متواضعَيْن، فهما القوة التي تسير بهما الحضارة إلى مجدها وروائعها. إذا عرفنا الحرية وجرتْ في دمائنا فيومئذ تهدَّم كل هذه الأباطيل التي تعوقنا وتقف بين أيدينا من قمامات الرذائل الإنسانية التي قُذِفتْ في طريقنا من أباطيل الماضي وترهات القرن العشرين!!

الفن الفرعوني

والأستاذ سلامه موسى قد بنى نقده على ما يسميه (العقائد المجزومة)، وعلى عقيدته في (القرن العشرين)!! ونحن — مع الأسف — لا نبني أبداً كلامنا على (العقائد المجزومة)، ولا على التعصب (للقرن العشرين)، ولو رجع الأستاذ إلى المقالين اللذين نشرناها في الرسالة عدد ٣٤٤ و٣٤٥ عن محاضرة الدكتور طه، ولو رجع خاصة إلى حديثنا عن (الفن) ما هو، وكيف هو؟ وعن الفنان وعمله في فنِّه — لعرفَ أن دعوتنا كلها مبنيةٌ على تحرير أعمالنا من قيود الماضي والحاضر معاً على أساس من العقل والعلم والفضيلة، فلا نُزري عندنا بالقديم قِدَمه، ولا نُرغِّبنا في الجديد جدَّته. وإن القول في (القديم والجديد) على إطلاق اللفظ، وجعله لفظاً تاريخيًّا زمنيًّا محصوراً باليوم والسنة، إنْ هو إلا تلذذ بالكلام كما يتمطق آكل العسل بعد أكله من تحلب الريق وشَهْوة الحُلْو، ولو كان في هذا العسل السم الناقع

إن حديثنا عن الفن الفرعوني، وأنه لا يصلح أن يكون شيئاً يستمد منه الفنان في زماننا، لا يمت بصلة إلى الرأي الذي ذهب إليه الأستاذ سلامة موسى في فهم كلامنا، لأننا نظرنا إلى شيء واحد، وهو تحرير الفن من التقليد، ثم معرفتنا أن الفنان لا يستوحى كما يقول الأستاذ سلامة من فنون غيره. بل إن الفنان عندنا هو القلب النابض الذي يفضي إليه الدم الحي الذي تعيش به حضارة أمته في عصره، والفن إن هو إلا نتيجة من نتائج الاجتماع الإنساني والطبيعة التي تحتضنه، والعقائد التي تسيطر على الشعب وتملأ قلبه بالإيمان بها والفكر فيها، فإذا لم يكن الفن ناشئاً من ثَمَّ، فاعلم أنه ليس بفن وإنما هو كذب مضرَّج بمحاسين قوس قزح، وما أسقط الفن الرفيع في زماننا وفي بلادنا إلا أنه نتاج العقول المزيفة بالتقليد، والخيال المدلس بالسرقة، وهذا الهمج الهامج من الفنانين والأدباء والشعراء والعلماء أيضاً ممن يعيشون بأدوائهم تحت جناح الليل الأسود وفي ستره، ثم يقبلون على الناس إذا أصبحوا فيقولون: أين كنتم؟ يقولون: كنا نستوحي، ثم يخدعون الناس بزيفهم وبهرجهم. لأنهم لا يعلمون من أين يأتي هؤلاء هذا الوحي ... ولو علموا أنما وحيهم وحي اللص الذي يبدع له المال، وإنما هو ديب واستخفاء وحرص، و «طفاشة» تهشم بها أقفال خزائن بعض الناس، يستخرجون كنوز غيرهم ليتنبلوا بزينتها وجمالها

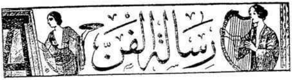
الحرية هي أصل الفن كما بينا، وكما هو ظاهر كلامنا، وأما الاستيحاء من فنون القدماء لإنتاج فن لا يتصل بمدنيتنا بسبب إلا القدم والوراثة وتاريخ هذه الأرض، فهو إبطال للفن ومعنى الفن وقيمة الفن، وإلا فما الذي فعله الأستاذ المثال القدير «مختار» إلا أن نقل صورة لا معنى لها في عقائد الشعب المصري الحاضر، هي صورة أبي الهول، وليس فيها معناه القديم الباسط ذراعيه في جوف رمال الصحراء هناك، ثم ماذا؟ ثم جعله مقعياً

بعد أن كان باسطاً متطامناً ، ثم ماذا ؟ ثم ألصق إلى جانبه فتاة تمسح يدها على رأسه ... سبحان الله هذه نهضة مصر ، وهذا هو فن القرن العشرين ! !

إذا كان الأستاذ سلامه موسى أو غيره يريد أن يناقشنا فى هذه الآراء ، فليناقش على أساس واحد ، هو أساس الفن ، وما هو ، ومن هو الفنان . أما (القرن العشرون) ، وأنظمة مكافحة الأوبئة ، والنظام الاقتصادى ، والعلوم ، وما إلى ذلك ، فليس له مدخل أو سبب فى الطبيعة الفنية ، وتقدير الآثار الفنية ، وهل يمكن أن تكون فناً إذا كانت تقليداً واستيحاء وتنشا كلا ذكيا بارعاً ؟

كل فن يأتى من التقليد واستيحاء فنون الناس ، وكل فن يتولد من شهوة التقليد وبلادة العزيمة وعبودية الروح ، فهو فن كالمولود السَّقط فى آخر تسعة أشهر من حمله ... فيه صورة الحى ولكن ليست فيه الحياة ، فيه قوة المشابهة للحى ولكن ليست فيه قوة استمرار الحى على الحياة

محمود محمد شاكر



فوزية الجديدة :

أميرة الربيع

لها تاج الجمال والفرح والفن

للأستاذ عزيز أحمد فهمي

بإذن الله ...

لما زغرد البارود سلاماً لمقدمها كانت ساعة أصيل احمرت الشمس فيها خجلاً منها فبدأت تتوارى إذ أشرقت فوزية

ولكنها قبل أن تمضى انتفضت عن مفاتنها ، فهى إذ تتباعد كانت تلوّح للعيون بمنديلها الذهبي توديعاً وتمويجاً لنسمات أصيل من أصائل الربيع كان أسعد أصائله لما حمله الغيب إلى الوجود فوزية

وغمزت الشمس بعينها الأطيار غمزة فإذا هى كلها تشدو أغنيات السعادة والفرح بفوزية

وغمزت الشمس للأزهار غمزة فزهت ، وانتعشت ونفثت فى الجو من عطرها طيباً ، وبثت من ألوانها حلية وزينة لعيون فوزية ...

كانت ساعة مباركة على الكون ، وعلىّ . ومن كان له أن يفرح مثلما كان لى أنا أن أفرح ، فها هو ذا شهر مولدى يعود وقد عفا الله عنى ، أجرى قلم الفاروق عفوه ، فوهب له على الربيع فوزية بوركت وبورك مقدمها

كان الشعب يدعو الله — كما كنت أدعوه — أن تكون صبياً تقر به عينا الملك ، ولكن حكمة الله شاءت أن توائم بين الوليد وزمن المولد . فهذا الربيع أجدر به أن ينفتح عن زهرة ، وهذا الأصيل الجميل كان أجدر به أن ينثر عند مطلعها كل ما ادخره له اليوم من جمال وحسن وروعة

وهذا أقرب إلى طبيعة الصبية

عشت للجمال والفرح والفن يا أميرتى فوزية ...

إذا تقدمت بك الأيام ، وشببت عن الطوق ، ورأيت ... فإنه لن ينطبع فى ذهنك إلا كل صورة من الجمال والحسن ، ولن تستقر عيناك إلا على كل بهجة وزينة ، فهذا هو أول ما عرضت عليك الحياة من ألوانها ...

إذا مرت بك السنون وسمت ... فإنه لن يطرق أذنيك إلا نغم حلو لين سلس كهذا الغناء الذى أنشدته الأطيار يوم مقدمك

إذا جازت بك الأعوام... وامتلأت نفسك حسناً فأغدقى على الدنيا من حسن نفسك كما يغدق على الدنيا من حسن النفس فنان ...

هذه الأفراح التى تشيع فى نفسك أشيعيها فى الكون شعراً ، وليكن شعرك إحساناً فأسمى الشعر الإحسان . وكم شاعر يتلهف إلى الإحسان ، وكم تستطيعين يا أميرتى أنت من ضروب الإحسان ...

كلمة التقدير الحق من الأميرة فيها الغناء ، ومن أقدر على

التقدير الحق من أميرة الربيع التي لما طلعت رأت الجمال الحق أول ما رأت ، وسمعت الغناء الصدق أول ما سمعت ، واستنشقت العطر الأصيل أول ما استنشقت ، فهي تعرف الجمال الحق من الجمال الزائف ، وهي تعرف الغناء الصدق من الغناء الملفق ، وهي تعرف روائح الله من روائح المعمل وما تؤلفه اليدان

أميرة الربيع ! يا أميرة العفو والرحمة يا أميرتي ... هلا شببت اليوم ، فأنت عروس ومصر في مهرجان ، ودولة الفن غير الدولة القاعدة فيه الآن ...

قرب اللهم هذه الأيام ... إذ يرفعون إليك أسماء الذين اختاروهم ليحيو المهرجان ... فتقولين لهم : لا ... لا تمنعوا عني خاملاً لأنه خامل ، ولا تجيئوني بالمعروف لأنه قد تحدث بذكره الركبان ، وإنما أريد أن أستمع إلى فلان وفلان وفلان ... فأنت يا أميرتي قد فتشت قبل ذلك في المكتبة ، وقرأت ما يكتبه هذا وما يكتبه ذاك ... فعرفت بما منحك الله من طبع الحسن موطن الحق عند هذا ، ومخبأ الزور عند ذاك ... وأنت يا أميرتي قد أصغيت قبل ذلك إلى كل ما يذاع من اللحن والغناء ، فعرفت أي هذا الغناء صدر من القلب ، وأيه كان ضرباً على خشب العود ، فهو ليس إلا غناء الأخشاب ...

رعاياك من أهل الفن يا أميرة الربيع مشوقون إلى يوم من أيام الإنصاف ... الحياة ثقلت عليهم ، والناس انشغلوا عنهم ، ومالوا إلى حيث يخلبهم سحرة مهرة لا الصدق عندهم ، ولا الحق ولا الجمال ... وإن هي إلا « الشطارة » والإعلان ...

سترين ذلك عندما تتقدم بك الأيام ... وستكرهينه ... وسيكون على يديك تحطيم الأوثان ...

سيملك أبوك ... فكم جده هو أيضاً في ملكه ، وكم وحد الله لم يعبأ بالنصب ولا الأصنام ... فهو الملك الذي عصف بالجحود ، والذي جرف ما أعقبته لنا الأيام من وجل وخوف فأمننا من الخوف ، وأبقى علينا ثأث حقه عندنا مثلاً ضربه لأولى الألباب منا لو أنهم تبعوه لأطعمنا جميعاً من الجوع ، كما آمننا جميعاً من الخوف ...

والأيام مقبلة ... وستفرغ مصر من الحرب حين تفرغ منها الأمم ، وسيرى عندئذ أولو الألباب هؤلاء وغيرهم أنه لا مفر من انتهاج الطريق الذي شقه أبوك المبارك وليد الشتاء ... ومن لملك كوليد الشتاء له السيطرة على تدفقه ونشاطه كما أن لك السيطرة على الحسن والجمال ...

يا أميرة الربيع ...

كم يسعد عروبتنا أن يكون لك فن ، ولماذا لا يكون لك فن وقد كان نبينا يستمع إلى الخنساء ... فليكن في النبي شعرك ، أو فاكتبي فيه نثرك ، وخذي من أبيك حب الإسلام أنظميه درراً ، فقليلاً ما يفكر أهل الفن عندنا في الإسلام ، وكثيراً ما يحسبه بعضهم تنظيما لعلاقة من في الأرض بمن في السماء فإذا نظروا إلى السماء تساءلوا ... ما الذي في السماء ؟

فدليهم أنت على الذي في السماء ... قولي لهم : هو الذي سماه المسيح المحبة ، والذي سماه القرآن السلام . ثم انشري بإيمانك وسلطانك بين الناس آيات المحبة وألوية السلام ، وما أشد حاجتنا في مصر إلى أن ترفرف علينا وتظلنا ، فليس ينقص وطننا إلا المحبة والسلام يشيعان فيه فإذا هو جنة الأرض ، وموطن الرغد والأمان ...

أعيدي على مسامع هؤلاء الخلق في مصر وفي غيرها تلك الأناشيد التي استقبلتك بها الدنيا يوم مولدك ؛ وقولي للناس هؤلاء الذين يتخبطون خبلاً في هذه الأيام بماذا كانت تسبح العصافير لله : أطعمها ، وسقاها ، وأجرى لها الدفء ورعاها ، وطيب لها الصبح وضحاها ، وليلها إذ غشاها ، فما حقد منها عصفور على عصفور ، وما طغى منها واحد على أخيه ... وإنما كن يخفن النسر والصقر والعقاب ، فلما سترهن الله بليله بتن وهن يقلن : حمداً لله الذي في الأرض وفي السماء ... ألف حمد وألف شكر لله ...

والنسر والصقر والعقاب ، كلها أيضاً سبح لله ... إن انقض واحدها على فريسة فهو أصدق الطلب ، طلب القوة الجائعة ، يأخذ من أصدق العطاء عطاء الضعف والفناء

فعلمينا يا أميرة الربيع كيف نكون مع الحب والرحمة أقوياء .
تسمى إلى السماء ، وقصى علينا ما سمعت من السماء ...

هاتي الذي سمعت يا رحمة الله ...

اللهم قرب هذه الأيام ...



الحــــرب والرياضيات

للأستاذ قدرى حافظ طوقان

تتقدم فروع المعرفة ويتناولها التغيير والتبديل، وكلما اقتربت من الأرقام زادت دقة ونحت نحو الكمال . قال أحد الفلاسفة : « يكون العلم دقيقاً إذا استعمل العلوم الرياضية فى بحوثه . . . » ولم يستطع العلماء أن يستفيدوا من فروع الطبيعة أو الهندسة ولا أن يتفننوا فى صنع السابحات فى السماء، والعائمات على الماء، ولا أن يغوصوا إلى أعماق البحار ، ولا أن يطوقوا القارات بالأسلاك الكهربائية ، وأن يملأوا الجو بعجيج الأمواج اللاسلكية، وقد حملت على أجنحتها الأنباء والأخبار والصور — أقول لم يستطع العلماء أن يسيطروا على الطبيعة هذه السيطرة القوية إلا بفضل الرياضيات

لست أطمع أن تقرئى اليوم هـذا الذى أكتبه ، فدونك ودون القراءة لم تزل أعوام ، ولكنى أسأل الله أن يقع هذا الذى أكتبه بين يديك فى يوم قريب من الأيام ، فلست أدرى لماذا أشعر بأن تنبؤى لك فيه شىء من الإلهام . . .

لعلها الفرحة التى زفها الله إلىّ على مقدمك ، ولعله خيال صورته لنفسى عن زهرات الربيع ونسماته وملائكته الذين يبعثهم الله إلى الأرض هدى ورحمة ، ولعله الرجاء فى أن الله قد رضى عن الفن وأهله فهيأ لهم راعية وقديسة . . .

لعله هذا ، ولعله حق لمسته عن غير قصد ولا تدبير . . . فإذا كان هذا أو كان ذاك فلست أطلب من الله أكثر من أن يحقق هذا الخيال . . . أو هذا الرجاء . . .

عشت . . . وعاش أبوك براً بك ورؤوفاً بالناس . . .

عزيز أحمد فهمى

قد يكشف العالم بعض النواميس الطبيعية ، ولكن لا يستطيع أن يتوسع فيها ، ولا أن يخضعها لتقوم بأعمال المدنية الحديثة المعقدة إلا إذا استعان بالرياضيات .

فلقد أحدث اكتشاف (فراداى Faraday) لإحداث التيار فى لفة السلك حين إمرارها فى حقل مغنطيس أثراً بعيداً عظيم الخطر فى الصناعة . . . هذا الاكتشاف قد يبدو بسيطاً ولكن أليس من العجيب المدهش أن كل الصناعات الكهربائية بنيت عليه؟ والأعجب أنه لم يكن فى الإمكان جعل هذه الصناعة بمحركاتها ومولداتها فى حيز الإمكان إلا حينما دخلت الأرقام والمعادلات قوانين (فراداى) بعد توسيع نطاقها .

ولقد تنبأ (فراداى) أيضاً بأنه لا بد أن يأتى يوم يثبت فيه أن هناك صلة بين الضوء والاهتزازات الكهربائية المغناطيسية فى الأثير ، ثم جاء كلارك ماكسويل J. C. Maxwell العالم الرياضى الشهير، وبعد درس وتحليل خرج بمعادلات رياضية أثبت منها أن فى الفضاء اضطرابات كهربائية مغناطيسية تتصف بصفات الضوء ، أى أن الاضطرابات الناشئة من شرارة كهربائية تبدو فى مظهر أمواج فى الأثير لا نراها ، ولكنها كالأمواج التى تحدث الضوء والحرارة والطاقة الكيميائية تسير جميعها بسرعة الضوء التى هى (١٨٦٠٠٠) ميل فى الثانية . وجاء بعد (ماكسويل) غيره من العلماء وجروا على القواعد التى وضعها فأحدثوا هذه الأمواج وأرسلوها فى الفضاء مسافة ثم التقطوها ، وبذلك صار تحقيق التلغراف اللاسلكى محتملاً ، وقد تنبأ به السير وليم كروكس Sir William Crookes . ثم حققه لودج Lodg على مسافات قصيرة ، ثم تلاه علماء آخرون فأتقنوه وتوسعوا فى صنعه ؛ فإذا المخاطبات اللاسلكية على أنواعها منتشرة ومتغلغلة فى العمران

لم يكن فى الإمكان أن يسخر العلماء بحوث الضوء لخير الإنسان إلا بعد أن أفرغوا قوانين الانكسار فى قالب رياضى ، وبذلك استطاعوا أن يستعينوا بالمعادلات والأرقام فى العدسات لإصلاح عيوب العين وتكبير الصور وعمل التلسكوب والسبكترسكوب والميكرسكوب على اختلافها

إن الصناعة الحربية قائمة على الرياضيات، فالأسلحة على تعددها وتنوعها تعتمد فى صنعها على الكهرباء والمولدات والمحركات وآلات

ميكانيكية أخرى معقدة وعلى دقة لا تأتى إلا عن طريق المعادلة . فصناعة الغواصات والطائرات قائمة على مبادئ ميكانيكية وكهربائية وطبيعية تدعمها قوانين رياضية لولاها لما كان فى إمكان الأولى أن تغوص إلى الأعماق ولا الثانية أن تجوب رحاب الفضاء

لقد برع المهندسون فى صنع الآلات المقاومة لبعض أدوات القتال ، فلقد (تفننوا) مثلاً فى صناعة كاشفات الأصوات (الهيدروفون) الذى جعل الغواصات بوساطته أقل خطراً وخفاء من ذى قبل . ويمكن القول إنهم استطاعوا أن يتخلصوا من خطرها إلى حد كبير، ولاسيما بعد أن أدخل بعض علماء الإنكليز تحسينات على هذا الجهاز تمكنوا بها من تحديد مكان الغواصة بالضبط . وفوق ذلك فقد جهزوا الطائرات المائية بآلات دقيقة تستطيع أن تكشف مسافات من أعماق البحار . وتقوم جميع هذه الآلات وغيرها على حسابات دقيقة أساسها الجداول والمعادلات الرياضية

وكذلك هناك أجهزة دقيقة قائمة على مسائل عويصة معقدة من شأنها إصابة الطائرة بإحكام . وتقوم هذه الأجهزة بعمليات حساب مدى ارتفاع الطائرة عن الأرض وحساب سرعتها التى تسير بها ، كما أنها تحدد النقطة التى تصل إليها الطائرة فى اللحظة التى تصل فيها قذيفة المدفع . ومن الغريب أن هذه العمليات لا تستغرق أكثر من نصف دقيقة ، وفى هذه المدة لا تستطيع الطائرة تغيير اتجاهها ، ويمكن عندئذ وعلى ضوء هذه الحسابات إطلاق القنابل إلى المكان الذى تلتقى فيه بالطائرة أو مكان قريب جداً من الطائرة تنفجر فيه وبذلك تصاب الطائرة بالقنبلة أو برشاشها

لقد تقدمت صناعة الطائرات على اختلافها من مطاردات وقاذفات ومهاجمة تقدماً سريعاً ، وتفنن مهندسو الدول فى صنعها وثبت أن المصانع البريطانية امتازت على غيرها فى إنتاج طائرات من نوع المطاردات ، وتحقق لدى خبراء الطيران العسكرى أن خير المطاردات ، هى المطاردات المعروفة باسم « قاذفات اللهب » . وسرعة هذه المطاردات تزيد على ٣٦٢ ميلاً فى الساعة وتستطيع أن ترتفع من أرض المطار إلى علو (١١) ألف قدم فى أقل من خمس دقائق ، ومداها (٦٠٠) ميل ، وهى مجهزة بثمانية مدافع رشاشة ، بينما المطاردات الألمانية لا تزيد سرعتها على (٣٥٠) ميلاً فى الساعة ، ومداها (٦٠٠) ميل ، ومجهزة بأربعة مدافع رشاشة . أما المطاردات الفرنسية ، فسرعتها (٣٠٥) أميال فى الساعة ، ومداها (٦٠٠) ميل ، ومجهزة بمدفعين رشاشين ومدفعين آخرين قطر كل منهما (١٢٠) مليمتراً

أما طائرات الهجوم أو قاذفات القنابل ، فهى نوعين : المتوسطة والضخمة : فقاذفات القنابل المتوسطة البريطانية لها سرعة (٣١٥) ميلاً فى الساعة ، ومداها (١٩٠٠) ميل ، وحملها من القنابل (٢٠٠٠) رطل انكليزى يقابلها فى السلاح الجوى الألمانى (٢٨٠) ميلاً للسرعة و (١٤٠٠) ميل للمدى و (١٩٠٠) رطل للحمل ، وفى الفرنسى (٣٠٠) ميل للسرعة و (١٣٩٠) ميلاً للمدى و (٣٣٠٠) للحمل

وأما القاذفات الضخمة ، فأقصى سرعتها (٢٢٠) ميلاً للانكليزية ، ومداها (١٣١٥) ميلاً ، وحملها (٤٠٠) رطل يقابلها فى الألمانية (٢٠٥) أميال للسرعة و (٩٩٥) ميلاً للمدى و (٨١٠٠) رطل للحمل ، وفى الفرنسية (٢٠٠) ميل للسرعة و (٧٥٠) ميلاً للمدى و (٩٣٠٠) رطل للحمل

وعلى ذكر القاذفات الضخمة نقول : إن أحدث ما أخرجته المصانع الأميركية طائرات تعرف باسم القلعة الطائرة تفوق مثيلاتها فى البلاد الأخرى فى السرعة والمدى ، فسرعتها (٢٦٠) ميلاً [يقابلها ٢٢٠ ميلاً فى الإنكليزية و (٢٠٠) ميل فى الفرنسية و (٢٠٥) أميال فى الألمانية] ومداها (٢٠٠٠) ميل . ولقد أخرجت المصانع البريطانية طائرة ضخمة جديدة تفوق (القلعة الطائرة) بلغت سرعتها (٢٦٧) ميلاً فى الساعة وحملها (٤٦٠٠) رطل ومداها (٣٦٠٠) ميل ، وهذه الناحية — ناحية المدى — محل دهشة مهندسى الأمم وإعجابهم [1]

وهناك اختراعات واكتشافات لم يتوسع نطاق استعمالها واستغلالها لمنافع الإنسان إلا على أساس التجربة والمعادلة الرياضية ويمكن القول إن علمي الفيزياء والفلك بفروعهما المتنوعة قد

(١) رجعنا فى الأرقام التى تتعلق بالطائرات إلى مقال ظهر فى مقتطف نوفمبر سنة ١٩٣٩ حول الطائرات الحربية

وصلا إلى درجة كبيرة من الدقة والكمال بفضل الأرقام والمعادلات . جرّدْ هذين العلمين من رياضياتهما بل جرد الكيمياء الحديثة من معادلاتها وقوانينها فلا يبقى إلا تعاريف ومبادىء أولية لا يمكنك ولا بحال الاستفادة منها أو تطبيقها فيما يعود على البشرية بالنفع والخير . ولن يستطيع العالم مهما كان قوى العقل خصب الفكر أن يقف على أسرار الطبيعة والكون، بل لن يستطيع الغوص ليقف على كنوزها وعجائبهما إلاّ إذا ألمّ بالرياضيات وكانت عنده خبرة بها . وإن الكيمياء الحديثة لفي حاجة إلى الرياضيات حاجتها إلى التجربة والاختبار ، وناهيك بالكيمياء فهي الأساس الذى شيد عليه صرح الصناعة فى هذا العصر ، وقد ازدهرت ازدهارها العجيب . إن هذا العصر لهو عصر الهندسة والآلة . وكل هذه فى حاجة إلى الرياضيات ، ولا يمكن الاستفادة منهما أو تطبيقهما على مقتضيات العمران إلا بذلك ، ويمكن القول : « إن مدنيتنا التى ترتكز على الاستفادة من الطبيعة والسيطرة على عناصرها مبنية على أسس العلوم الرياضية » وقد أثبت العالم الأمريكى الشهير (ملكن Milikan) أنه « إذا أزلنا من العمران الحالى أحد القوانين الرياضية التى ابتدعها وحققها نيوتن Newton لوجب أن نزيل كل آلة تجارية وكل محرك ومولد كهربائى بل كل آلة تستعمل لتحويل القوة إلى حركة ، لأنها كلها بنيت على هذا القانون الرياضى الشامل . ولسنا بحاجة إلى القول إن نيوتن لم يقصد من قانونه استنباط آلة تجارية أو سيارة أو طائرة . ولكن أليس من المدهش حقاً أن هذه المخترعات وغيرها بنيت على قانونه وأننا إذا أزلناه تهدم عمراننا كأنه بيت من ورق » . فالهندسة بأنواعها والملاحة والصناعات المختلفة إ كل هذه تحتاج إلى الرياضيات ، ولا يمكنها أن تزدهر وتثمر بدونها، بل إن أسس إنشائها وتقدمها قامت على الأرقام والمعادلات . وما يقال عن هذه يقال عن علوم أخرى إلى حد ما، فإن هذه كما تقدمت وكلما استطاعت أن تدخل الأرقام والمعادلات فى بحوثها أصبحت دقيقة واقتربت من الكمال . فالعلوم على اختلافها وتعددها إذا اقتربت من الكمال فإنها لابد محلقة فى سماء الرياضيات وفى جواء من المعادلات والأرقام

(نابلس) قدرى حافظ طوقان



الدرس الأول

للأستاذ محمد سعيد العريان

« هل كانت « قدرية » في أوّليّتها تتوقع هذه الغايةَ التي انتهى إليها أمرُها ؟ »

هكذا سألني صديق وهو يحدثني حديثها :

كانت تجلس في الصف الأخير من حجرة الدراسة ، فقد كانت أطول قامة وأبعد نظراً ؛ فما يشق عليها ولا يعنيها أن تجلس في الصف الأول أو في الصف الأخير ؛ على أنها كانت أسبقَ التلميذات جواباً عند الاختبار ، وأكثرهن عناية بالعمل المدرسي ؛ فلا جَرَم كانت بذلك أدنى منزلة إلى قلوب معلميها ومعلماتها . وكانت على إرثٍ من الأدب والفضيلة ، يبدو في طرْف غضيض ، وصوت خفيض ، ولسان عَذْب التحية عف الخصام ؛ وكانت إلى كل ذلك مليحة رشيقة ، مقبلة ومُدبِرة ! ... وإني لأعجب لنفسي كيف لم أتبيَّن ما فيها من رشاقة وخفة إلا في تلك الليلة التي كانت ... حين بدأت حوادث هذه القصة ؟ ... على أن المعلم في مدارس البنات ، قلّما يُعنى بالنظر إلى وجوه تلميذاته ، ولعله لو سُئل الرأيَ في تفضيل واحدة على واحدة من بناته في هذا الباب ، لأخطأ الرأي والنظر ، ولكانت أدَمُّ الدميات هي عنده الجميلة التي لا تباريها واحدة ولا تقاربها ؛ فإن طول العشرة ودوام المخالطة خليقٌ بأن يلوّن رأيه بلون غير اللون الذي ينظر به كل رجل إلى كل امرأة ؛ ومن ذلك لم يهجس في نفسي يوماً أن فلانة من تلميذاتي أجمل أو أدَمُّ من فلانة ؛ وكذلك لم أكتشف ما كان في « قدرية » من جمال وفتنة إلا في تلك الليلة ، وإنها لتلميذتي منذ ثلاث سنين !

* * *

كان ذلك في يوم من أيام الربيع ، وقد تبرَّجتْ الدنيا بزينتها وأخذتْ زخرفها ، ونَضَت الكائناتُ عن سرِّ الإبداع العبقري الذي أودعه فيها الصانع الأعظم !

وكان العام الدراسي في أخرياته ، وقد فرغ المعلّمون أو كادوا مما عليهم من فرائض العلم ، وتأهب التلميذات لواجبهن استعداداً ليوم قريب ...

ورأت المدرسةُ أن تجري على تقاليدها احتفالاً بانتهاء عام ؛ على أنها رأتْ أن يكون في حفلتها هذه السنةَ شيءٌ جديد، محاكاةً لمدارس أخرى ، ومساهمة في بعض أعمال البر ؛ فاعتزمت أن يكون احتفالها في مسرح كبير مشهور ، يُدْعى إليه طائفةٌ من أهل البذْل والمعروف ، لتستعين المدرسة بما تجمع منهم على البر بطائفة من الفقراء ...

هي سنّة جديدة سنها بعض القائمين على شئون التعليم فجَرَتْ قاعدة ؛ فلِمَ نتخلّفُ نحن وقد سبقتْ إلى هذه السنة الجديدة مدارس ؟

وأعدّت المدرسة برنامجاً حافلاً ، فيه تمثيل ، ورقص ، وموسيقى ؛ وما بدٌّ أن تجتمع هذه الألوانُ الثلاثة في كل حفل مدرسي يراد منه أن يغل إيراداً يعين على بعض أعمال البر ... وإلا فماذا تقدّم المدرسة من وسائل التسلية ثمناً لما تطلب من أهل البذل والمعروف !

وقالت معلّمةٌ لأخرى : ينبغي أن تكون حفلتنا ...

فقاطعتْها الثانية : نعم ، وستكون أفخمَ ما أقيم من حفلات المدارس في هذا الموسم ... !

* * *

واختيرت الرواية ، واستؤجر المسرح الكبير ، ودُعي فنانٌ كبير من أهل الكفاية ... ليدرِّب التلميذات على اصطناع شخصيات الرواية ، كل واحدة بدورها ، راقصة أو ممثلة !

وطاف المدرِّب بالتلميذات في صفوفهن يختار منهن ذوات الوجوه والأجسام ... الفنية !

واختار « قدرية » لدور ذي خطر ...

وتأبّت الفتاةُ بما في طبيعتها من الحياء وما في دمها من إرث أجدادها ؛ وعجِب البناتُ أن تأبى قدريةُ وإن كل واحدة منهن لتتمنى ؛ واستمعت قدرية إلى أحاديث البنات صامتة ، ثم ... ثم قبلت نفوراً مزهوة ، وغلبتها غريزة الأنثى الغيور على ما في دمها من إرث الآباء والأجداد !

ووقف المدرِّب يلقّنها ويستمع إليها ، ووقفت هي مصغية تستمع إليه وتحاكيه ، تجهر بصوتها حيناً وحيناً تخافت به ؛

وعرفت من مخارج الصوت ما لم تكن تعرف ، ولانت أعطافها بعد خشونة ويبس ، وأحسنت أن تدور على عقبها ، ثم تنثنى وتنهض ، وأجادت تمثيل اللفتة المتكبرة ، والنظرة العابرة ، والرنوة الآسرة ، ثم تبكى وتضحك فى وقت معاً ... ...

وقال المدرب الفنان : يا لها من فتاة ! إنها لفنانة موهوبة !

وأطبقت الفتاة جفنيها فى حياء وهى تشكر له . فبدت فى كلتها وحركتها أبرع فناً مما ظن مدربها ... !

ولم يمانع أبوها وأمها أن تكون ابنتهما راقصة ممثلة ساعة فى ليلة من ليالى البر ؛ وأين يبدو لهما وجه الاعتراض والمدرسة هى التى اختارتها لذاك ؛ وإن المدرسة لأعرف منهما بما ينبغى وما لا ينبغى ؛ وإن عليها وحدها أن تختار لتلميذاتها من وسائل الرياضة والتثقيف ما يؤهلهن للحياة ... !

وجاءت الليلة الموعودة بعد تدريب طويل وإعداد شاق ... وكان على أبواب المسرح الكبير معلمون ومعلمات لاستقبال المدعوين ، وغص البهو والشرفات بالآباء والأمهات ، والأصدقاء والصديقات ، و ... والمربين والمربيات ...

وراحت طائفة من التلميذات تجوس خلال الصفوف فى ثياب بديعة ومظهر فاتن ، يبعن الزهر والحلوى مما صنعت أيديهن من قبل استعداداً لهذا اليوم ومساهمة فى أعمال البر ...

... وكانت « قدرية » خلف الستارة بين أيدى المواشط يهيئنها للظهور ، وأمامها مرآة كبيرة تريها من نفسها ما لم تكن ترى أو تعرف ، وابتسمت ابتسامة الإعجاب والرضا حين رأت وعرفت ... !

وخرجت إلى المسرح مجلوة ملونة كما لم تبد فى يوم من أيامها ، وانسكبت عليها الأشعة من أربعة جوانب المسرح تشب لونها وتزيدها ملاحة وفتنة ، ووقفت متأهبة ...

ورن الجرس ، ثم ارتفعت الستارة ، وضج المسرح بالتصفيق فانحنت فى رشاقة وخفة وهى تكشف عن ساق ممتلئة مصقولة كأنما يجرى فيها شعاع الشمس ، ونثرت ابتساماتها يمنة ويسرة ترد تحية بتحية ...

ولم يكف التصفيق حتى ارتفع صوتها يغنى . . . واستدار بها البنات يرقصن ويغنين ...

وغنت ورقصت ، وضحكت وبكت ، وتأمرت ثم ذلت ، واستعطفت ثم دلت ، ووعدت ثم تأبت ، ومنعت ثم نولت ، وقالت عيناها . . . وقالت عيون الناس . . .

وكأنى لم أر قدرية قبل تلك الليلة ؛ ... لقد بدا لى من جمالها وخفتها ما لم يكن لى به عهد من قبل ؛ أهذه هى ... ؟

ولما أسدلت الستارة فى الخاتمة ، كان تحت قدميها أكداس من الزهر ؛ وفى أذنيها أنغام من هتاف الإعجاب ؛ ولكن قلبها كان أحفل بمعانيه ... !

وحين لقيها أبوها بعد ، كانت فى عينيه دموع ، وطبع على جبينها قبلة ... وأقلتها السيارة بين أمها وأبيها إلى البيت وهى صامتة ، لأن معانى ذات خطر كانت تطيف برأسها ...

ونامت تلك الليلة بين هتاف وتصفيق وأكداس من الزهر : لقد كانت عيناها مغمضتين ولكن قلبها يقظان ؛ وتمثل لها فى أحلامها كل ما رأت وسمعت وشمت ، وراحت أحلامها تنسج لها أمانيها ... وتلقت الدرس الأول فى تلك الليلة ، فنسيت به كل ما تعلمت من دروس !

* * *

لقد ذاقت قدرية من اللذة الفنية ليلتئذ ما لم تذق طوال سنيها التى عاشت ، فشاقها أن تستزيد ...

ولما عادت إلى المدرسة بعد يومين ، وسمعت ثناء معلميها ومعلماتها ، أجد لها ما سمعت معانى أحست فى أعماقها صداها ووجدت فيها غذاء لأمانيها ...

... وتناولت (المجلة) التى تعودت أن تقرأها فى كل أسبوع ، فراحت تعبر صفحاتها معجلة حتى انتهت إلى صفحة (الفن) فتلبثت ، وأخذت تنظر إلى صور الراقصات ونجوم المسرح معجبة متمنية . . . وفى أذنها صدى بعيد من هتاف النظارة وتصفيق المتفرجين ... !

ولما حان عيد مولدها وأرادت أن تتصور - على عادتها فى كل سنة - لم يحل لها إلا وضع واحد تبدو فيه صورتها ، فلبست ثوبها الذى كانت ترتديه ليلتئذ ووقفت بعض مواقفها واستحضرت صورة ما كان . . . فانطبعت فى الورقة صورة من مشاهد ذلك الماضى ، وتمثلت فى نظرة عينيها تمام صورته !

ووقفت ذات مساء على باب مسرح كبير من مسارح اللهو تجيل عينيها فى إطار كبير يضم شتيتاً من صور الراقصات وربات

الفن ، وطالت وقفتها ؛ ثم انصرفت ؛ وفى الليلة التالية كانت جالسة فى الصف الأول من بهو المسرح تشهد التمثيل وحدها ، ليس معها أحد من ذويها ؛ واستطاعت فى ختام الليلة أن يكون لها رأى فيما شهدت من ألوان الفن وفى عيوب الممثلين وغلط الراقصات . . . !

وفى الصباح كانت جالسة إلى بعض زميلاتها فى حوش المدرسة تحدثهن حديثاً طويلاً عن عيوب الفن المصرى فى الرقص والتمثيل والغناء ، وتشخّص العلة وتصف الدواء ؛ وأمّن صديقاتها على ما قالت ؛ فما تشك واحدة منهن فى أن من حق قدرية أن يكون لها رأى فى الرقص والتمثيل والغناء ؛ وإنهن ليسمعن من حديثها كل يوم ما يشهد بكفايتها وسعة معارفها فى تلك الفنون . . . !

وتلقت قدرية بعد الدرس الأول دروساً كثيرة ، فى المسرح والسيما ، والصحف ، والكتب ؛ وما نسيت مع كل أولئك شيئاً مما رأت فى تلك الليلة التى كانت . . . لقد استقرت فى أعماقها أصداء الهتاف والتصفيق الذى سمعت ليلتئذ ... ورنين كلمات الإعجاب والرضا التى وعتها أذناها ، وصورتها بين الأشعة الملونة تنسكب عليها من جوانب المسرح وتحت قدميها أكداس الزهر ... وبقى كل أولئك فى نفسها مشهداً حياً كأنما ما تزال بين أشعته وألوانه ، فإنها لتجد لتذكّره لذة فنية تحبب إليها حياتها وتجدد لها فى كل يوم أمانيها ...

* * *

وانتهى عهدى بقدرية وانتهى عهدها بى ؛ فقد أتمت دروسها بالمدرسة ومضت لشأنها ؛ وتصرمت سنون ... ونسيت أمرها وما كان ...

... وفى ليلة من ليالى الصيف الماضى ، دعوت أهلى إلى سهرة فى بعض ملاهى الإسكندرية ؛ قصدَ التسلية والرياضة . ووقفتُ بباب الملهى العائم بين الأمواج المصطخبة ، أقرأ البرنامج المنشور على الباب وأشاهد الصور ؛ ورأيت صورة ، فهجس فى نفسى هاجس لم يلبث أن تلاشى ...

ودخلنا ، واتخذنا مقاعدنا على مقربة من المسرح ... ومضت لحظات ، ثم رن الجرس ورفعت الستارة ؛ وتتابعت المشاهد فنوناً توقظ الفكر وتجلو صدأ النفس وتُسرى عن الهموم ؛ وفجأة برز أمامى مشهد رائع ... يا لله ... ! من كان يظن ... ؟ هذه تلميذتى قدرية ... !

وبدت لى فى مثل هيئتها التى رأيتُ أول مرة على المسرح الكبير فى القاهرة منذ سنوات ...

ثوب منفوش ، كأنما اجتمعت أجزاؤه من أوراق الزهر ، يكشف عن ساق ممتلئة مصقولة؛ كأنما يجرى فيها شعاع الشمس، وانحنت فى رشاقة وخفة ، وهى تنثر ابتساماتها يمنة ويسرة ، ترد تحية بتحية ، والمسرح يضج بالتصفيق والهتاف باسمها الجديد الذى سمعتُه لأول مرة فى تلك الليلة ...

وغنت ورقصت ، وضحكت وبكت ، وتأمرت ثم ذلت ، واستعطفت ثم دلت ، ووعدت ثم تأبت ، ومنعت ثم نولت ... وقالت عيناها ... وقالت عيون الناس ... وقالت لى نفسى ...

وانتثرت أكداس الزهر على قدميها، وأسدلت الستارة...!

ليت شعرى ، هل كانت قدرية فى أوّليتها تتوقع هذه الغاية التى انتهى إليها أمرُها ؟

وهل كانت خواطرها تخيّل لها هذا المصير الذى بلغته ، يوم كانت تجلس مجلسها من الصف الأخير فى حجرة الدراسة ؟

وهل ... وهل عَرف من عَرَف : كم بين الدرس الأول والدرس الأخير ... وأين ما بدأ مما انتهى ... ؟

* * *

وانفض السامر ، وتهيأ أهلى للانصراف وما زلت فى مجلسى أفكر ، ثم نهضت؛ فإنى لألتمس طريقى فى الزحام على الباب إذ حانت منى التفاتة فرأيت ؛ فتنحيت عن طريقى ، وقلت للتى بجانبى : تفضلى ! وكانت سيدة ورجلها وبينهما طفل؛ أما السيدة فأعرفها ؛ فما تخفى علىّ ملامح تلميذة من تلميذاتى مهما باعد بيننا الزمان؛ وأما الرجل فزوجها؛ هكذا يعرف كل من يراه ويراها ؛ وأما الطفل...

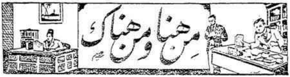
... هذه فتاة أخرى من تلميذاتى تبرز لعينىّ فجأة بعد غياب سنين ... هذه واحدة و (تلك) واحدة . . .

ليت (تلك) التى توارت خلف الستارة منذ قريب قد رأت ما رأيتُ لعلها تعلم ماذا باعت وما اشترتْ !

وشيعتُ (الأسرة السعيدة) بعينىّ ثم ارتد نظرى إلى الوراء لأشيِّع الأخرى ...

وكأنما اجتمعت لى هاتان الصورتان فى زمان ومكان ليشغلنى أمرهما من بعدُ ما يشغلنى ، فلا أزال أسأل نفسى كلما حضرتنى الذكرى : أيهما خير . . . ؟

محمد سعيد العريان



الجندى المجهول

[عن مجلة العصبة البرازيلية]

كم بين ملايين الجنود الذين التهمتهم الحرب العالمية الماضية من اختفت آثارهم فلا صليب يدل على رفاتهم ولا دمعة تذرف على تربتهم . أولئك هم الجنود المجهولون الذين تركوا أهلهم وأحباءهم وبذلوا دماءهم من أجل أوطانهم فإذا هم بعد حين شيء ضائع فلا ذووهم يعرفون مثواهم ولا وطنهم يعلم مصيرهم

على أن ذلك الجندى المجهول الذى فرض عليه الواجب الوطنى التضحية فقضى غير مذكور قد لقى بعد موته تكريماً لتضحيته لم ينله الأبطال واحتراماً لذكراه لم يظفر به الشهداء . رفعت له الأنصاب التذكارية الضخمة ، وأقيمت له الأضرحة الرمزية البديعة فأصبحت مزاراً رسمياً يتوارد إليه الناس ليذكروا البطل المنسى ويؤمهُ الملوك وأصحاب الشأن ليمجدوا التضحية

ومن هو الجندى المجهول ؟

« هو ابن كل الأمهات اللواتى فقدن أبناءهن ولا يعرفن مثواهم »

هذا هو تعريف « الجندى المجهول » الذى اصطلحوا عليه بعد الحرب . أما الفكرة فمبعثها فرنسا ، وهى اليوم أنصابٌ وأضرحة ترمز إلى التضحية الصامتة وتمثل الشرف الوطنى

فى سنة ١٩٢٠ أصدرت حكومة الوزير جورج ليغ القرار التالى :

مادة أولى — يتناول شرف « البانثيون » رفات أحد الجنود المجهولى الهوية الذين ماتوا فى ساحة الشرف فى خلال ١٩١٤ — ١٩١٨

مادة ثانية — يُدفن رفات « الجنـدى المجهول » تحت قوس النصر

وتم تنفيذ ذلك القرار باحتفال رائع حضرته هيأة الحكومة وقواد الحرب وقد كتب على الضريح العبارة التالية :

« هنا يرقد جندى فرنسى مات من أجل الوطن ١٩١٤ — ١٩١٨ »

واقتفت الدول الأخرى التى اشتركت فى تلك الحرب أثر فرنسا ، ففى بلجيكا ضريحان أحدهما للجندى المجهول الفرنسى والآخر للجندى المجهول البلجيكى وكتب على الأول :

« هذا الضريح يضم رفات جندى فرنسى صرع فى بلجيكا (ناحية إيبر) فى غضون ١٩١٤ — ١٩١٨ على عهد الملك ألبر . إكرام بلجيكا للجندى الفرنسى المجيد »

وكتب على الآخر :

« هنا يرقد جندى مجهول بذل حياته فى سبيل الوطن ١٩١٤ — ١٩١٨ »

وفى قصر وستنمستر بلندن الذى يضم رفات ملوك انكلترا وعظماء رجالها تقرأ على قبر الجندى المجهول الكتابة التالية :

« تحت هـذا الحجر يرقد رفات جندى انكليزى مجهول الاسم والرتبة جُلب من فرنسا ودفن هنا بين رفات أعاظم رجال الوطن يوم تذكار الهدنة فى ١١ نوفمبر ١٩٢٠ باحتفال وطنى كبير حضره جلالة الملك جورج الخامس ووزراء الدولة وقائد حربيتها . بهـذا يُذكر الرجال الذين بذلوا فى خلال الحرب الكبرى ١٩١٤ — ١٩١٨ كل ما يستطيع امرؤ أن يبذله : الحياة نفسها من أجل الله والملك والوطن والأهل والمنزل والامبراطورية ، وأخيراً من أجل قضية العدل المقدّسة ، وحرية العالم »

وفى مقبرة كرنستون بالولايات المتحدة كُتب على ضريح الجندى المجهول ما يلى :

« هنا يرقد بشرف ومجد جندىٌ أميركانى لا يعرفه غير الله »

وفى إيطاليا بُنى ضريح الجنـدى المجهول إلى جانب نصب رومة، وهذا ما كتب عليه :

« جندى مجهول » — سليل شعب باسل ومدنية ألفيّة ، ثبت بلا وجل فى الخنادق ، وبرهن على بطولة فى أدمى المعارك ، ووهب حياته ولا أمل له إلا النصر من أجل عظمة وطنه — ٢٤ أيار ١٩١٥ — ٣ نوفمبر ١٩١٨ »

وفى فارسوفيا عاصمة بولونيا يحمل قبر الجنـدى المجهول العبارة التالية :

« هنا يرقد الجندى البولونى الذى مات من أجل الوطن »

وفى البورتغال كتب الكلام التالى :

« من البورتغال الخالدة بحراً وبراً إلى جنديها المجهول الذى مات من أجل الوطن فى الحرب الكبرى ١٩١٤ — ١٩١٨ »

وفى جنينة كارول برومانيا أقيم قبر الجندى المجهول ، وكتب عليه :

« هنا يرقد الجندى المجهول ، الذى ضحى بنفسه فى سبيل الوحدة الرومانية . إن رفاته مدفون فى أرض رومانيا الكبيرة ١٩١٦ — ١٩١٩ »

وفى يوغوسلافيا على جبل أولفالا الذى يبعد نحو ستة عشر كيلومتر عن العاصمة بلغراد ، أقيم القبر الذى يضم رماد الجندى المجهول وكتب عليه :

« إلى الجندى المجهول الذى لم يعرف رسمياً »

وفى مستشفى براغا مصلى تاريخى قديم أقام فيه التشاك قبر جنديهم المجهول الذى مات فى معركة زبوروف ، حيث انتصرت شرذمة تشاكية على الروس وأسرت منهم ألف جندى

بماذا تستهوى المرأة الرجل ؟

للشعب الأمريكانى ولع بالإحصاءات الغريبة ، والإحصاء التالى قامت به لجنة من محبى الاستطلاع بعد ملاحظات واختبارات استغرقت شهرين فى مختلف المدن الأميركانية

إن الرجال ، بناء على الإحصاء المذكور ، يستهويهم فى المرأة الأعضاء والأشياء التالية :

من ألف رجل ٥٥٠ رجلاً يستهويهم فى المرأة سيقانها ، و٢٠٠ عيناها ، و١٠٠ عنقها ، و٤٠ ملابسها ، و٣٠ يداها ، و٣٠ زينتها ، و٢٠ محفظتها ، و١٠ شعرها ، و٥ حذاؤها أما الخمسة عشر الباقون من الألف فهم الذين يتغلب عليهم الذهول فيمرون بالمرأة فيرونها دون أن يلفت أنظارهم شىء فيها

صناعة الجمال

« إن الصناعة الوحيدة التى لم تصبها الأزمة المالية بسوء هى صناعة الجمال التى يدعمها الجنس اللطيف ويحييها بنفقاته الهائلة ، ففى الولايات المتحدة تنفق النساء على من يجملهن ٤٥٠ مليون دولار أو ٨٠٠ر٢١ مليون فرنك سنويا .

وهذا إحصاء رسمى لا مبالغة فيه ، فكم تنفق النساء إذاً فى العالم كله ؟ فى أوربا ما أنفقت النساء قط على أدوات الزينة ما ينفقنه فى أيامنا .

أما هذا الإسراف فسببه الرئيسى الحرية الواسعة النطاق التى تتمتع بها المرأة فى عصرنا والتى تجعلها أقل تصوناً من ابنة جنسها الماضية .

ولكن هل نساء اليوم أجمل من نساء الأمس ؟ وهل فى وسع النساء أن يصرن جميلات ؟

فجوابى على السؤال الأول : أن الجمال يختلف باختلاف النظر والذوق ؛ ففى الناس من يفضلون الورد على كل أنواع الرياحين ، وفيهم من يفضلون أحقر الأزهار على الورد . وإنما لا ينكر أن المرأة العصرية قد استطاعت أن تحافظ على رونق جمالها حتى فى كهولتها بأساليب التجمل الحالية

أما جوابى على السؤال الأخير فينحصر فى « لا » لأن جمال المرأة لا يتوقف على مظاهرها الخارجى بل على جمال نفسها أيضاً ، فليست هى كالإناء الذى ينحصر جماله فى شكله الخارجى وقد يكون فى داخله عشاً للحشرات »

شىء عن الميكروبات

ليس للمكروبات على الإجمال ألوان خاصة وإنما يمكن صبغها لأجل درسها وفحصها ، وتعتمد على الأكثر المواد الأنيلية . والمكروبات فى ذلك تماثل الخيوط والأنسجة ، فنها ما لا يقبل بعض الألوان أو يقتضى عناء كبيراً وزماناً معيناً لقبولها ، ومنها ما يأخذ اللون بسهولة وسرعة ، ومنها ما يصطبغ بلون دون غيره وطرق تلوين الميكروبات لتمييزها ومعرفتها بدقة أصبحت علماً قائماً بذاته ، وعليها قامت مهارة كوخ العالم الألمانى بإظهار كيفية صبغ باشلس السل

لا بد للمكروبات لكى تتوالد وتنمو من بيئة موافقة وغذاء ملائم . وهى تُبذر وتزرع كما يُبذر ويُزرع النبات فى مستنبت

سائل أو جامد . والحرارة ضرورية لحياتها ونموّها ؛ وأصلح درجة للجراثيم المرَضية حرارة قريبة من حرارة الحيوان الذى يصاب بها وهى نحو الدرجة ٣٧ فوق الصفر ، ومنها ما يعيش فى جليد القطب الشمالى .

والبحّاثون قد يعوّدون الميكروب درجة لم يكن ألفها من قبل . وربّ ميكروب لا ينمو إلا بدرجة ٣٩ لكنه لا يموت إلا بدرجة ٥٤ وبزره بدرجة ١١٠

أما البرد فهو أقل فتكا بالميكروبات، نخمير الجعة يتحمل درجة ٩٠ تحت الصفر دون أن يفقد خواصه التخميرية وبزر الجمرة أى مرض الطحال والبثرة الخبيثة يبقى حياً عشرين ساعة بدرجة ١٣٠ تحت الصفر غير أن ميكروبه نفسه لا يقوى عليها فإن لم يمت يفقد قوته

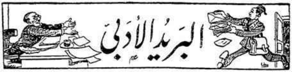
للنور تأثير كبير فى الميكروبات فهو أكبر عدو للجراثيم وقد تحقق الجراثيميون فتك النور بميكروب الجمرة وبزوره أيضاً الذى يموت بعد ثلاثين ساعة على تعريضه لنور الشمس ، وبنور الشمس أضعفوا الميكروبات إلى درجة جعلتها لقاحاً واقياً . أما ميكروب السل فإذا سلط نور الشمس عليه فيموت فى منبته بعد ساعتين ، وفى البصاق بعد ٤٨ ساعة ، ولكنه فى الظلمة أو الأماكن الرطبة لا يموت إلا بعد أشهر أو سنين

ومتى حلت الميكروبات فى مادة غذائية جزأتها وحللتها وحولتها ولولاها لما كنا نتصور ولا نفهم كيف يتحول عصير العنب إلى نبيذ ويصير مسكراً ، أو كيف يصير الشعير جعة أو كيف تتلاشى الجثث ولا يبقى منها أثر بعد أيام ، فإن الميكروبات قد فعلت فيها ما لم تفعله الكواسر ، فحللتها إلى غازات وتراب

ومن الميكروبات ما تفوح من مستنبته روائح عطرية تميز بها فقضيبات السل مثلاً تولّد فى مستنبتها رائحة ذكية أشبه برائحة السوسن . ومنها ما يفرز مواد ذات لون كميكروب الصديد الأزرق فإنه يولّد مادة براقة ميالة إلى الزرقة

أما نمو الميكروبات وسرعة توالدها فأمر مدهش وقد ترى فى بصقة المسلول الواحدة ملايين من ميكروب السل فالميكروب الواحد إذا وافقته البيئة قد يصبح فى يوم واحد عشرات الملايين

« العصبة »



مصر ولغة الضاد

كتب الأمير الجليل « مصطفى الشهابي » وزير معارف سوريا سابقاً مقالاً قيما فى عدد أبريل من (المقتطف) الأغر عنوانه « مصر ولغة الضاد » . والمقال فى مجموعه محاولة طيبة كريمة لإعزاز اللغة العربية . واقتراحات عملية للنهوض بها حتى لا تتخلف عن عصر بلغ التقدم العلمي فيه مبلغاً يقتضى بذل جهد كبير لجعل اللغة العربية مسايرة للنهضة العالمية الحديثة وما يجدُّ من النهضات

وفى المقال عتب على المصريين (لأن الوسائل المادية والمعنوية التى تيسرت لهم تمكنهم من النهوض بأضعاف الأعمال التى نهضوا بها حتى الآن فى موضوع اللغة العربية) و (لهذا فالعالم العربي مهما يشكر لهم خدمة لسان الآباء والأجداد ، فهو يرام مقصرين فى الخدمة)

وهذا العتاب الكريم هو عتاب الأخ الودود ، لا عتاب الخصم اللدود ، وعتاب التمنى لا عتاب التجنى . لهذا استحق هذا المقال الخاص من أمير عربي كريم أن نقف منه وقفة قصيرة على صفحات (الرسالة) الغراء . واختيار (الرسالة) لسببين : أما الأول فلأن سموّ الأمير أشار إليها فى مقاله لما قرأه فى العدد (٣٤٦) منها من أن فى نية الحكومة المصرية تعزيز المجمع بنحو عشرة أعضاء مصريين ينتخبون من كبار المشتغلين بالبحوث العلمية . وأما الثانى فلأننى رغبت أن أهيئ لمن لم يطالع على مقال الأمير فى المقتطف فرصة فى (الرسالة) حتى يعرف رأى أمير عربي فى نصيب مصر من خدمة اللسان العربي ، وما ينتظر منهم لإتمام الصنيعة ، لو كان فى حفظ تراث الآباء والجدود ما يصح أن يسمى صنيعة

والأمير لا ينكر على بعض الأدباء المصريين اعتدادهم بما أتاهم الله من فضل فى الأدب . ولا ينكر على بعضهم أنه غلا فى التمادح وأفرط فى التباهى ، (فمصر جديرة بأن تكون مباءة الأدب ، وخليقة بأن تكون قلب بلاد العرب) . وإذا كان هذا رأى الأمير فى مصر ، فنحن يسرنا – لا على سبيل تبادل المدائح – أن نقرر أن البلاد العربية كلها تحمل قسطها من النهضة بقدر . ولا ننسى هؤلاء المجاهدين فى الأمريكتين ، فآثارهم فى الشعر والنقد والأدب ، ستضيف ثروة عربية خالدة إلى التراث العربي بعد حين ... ويكفى أن نعد منهم على سبيل المثال : أمين الريحانى وميخائيل نعيمة وإيليا أبو ماضى والياس قنصل والمرحوم جبران خليل جبران – على ضعفه اللغوى –

وللأمير اقتراح طيب ، وهو اتخاذ قرار حكومى يقضى بأن تكون جميع إعلانات المتاجر مكتوبة بالعربية . وليس فى تنفيذ هذا الاقتراح صعوبة عملية

وينتقد الأمير التعليم فى بعض كليات الجامعة المصرية بغير العربية . وهو انتقاد له وجاهته وخطره ، فإن العربية لم تثبت بعد عجزها عن أن تكون لغة العلم . وليس الكلام هنا ملقى على عواهنه ، فقد أثبت المعهد الطبي فى دمشق صلاح اللسان العربي لتعلم الطب مع التكميل فقط بالفرنسية . ولم يكن قول المرحوم حافظ ابراهيم على لسان اللغة العربية :

وسعت كتاب الله لفظاً وغاية
وما ضقت عن آىٍ به وعظات
فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة
وتنسيق أسماء لمخترعات ؟
أنا البحر فى أحشائه الدر كامن
فهل سألوا الغواص عن صدفاتى ؟

لم يكن هذا القول خيال شاعر . وإنما هو حقيقة أدركها حافظ المتبحر فى اللغة والأدب

ويشير الأمير إلى (الرسالة الغراء) لما نشرته خاصاً بنية الحكومة تعزيز المجمع بعشرة أعضاء مصريين ، ويشك فى قدرة هؤلاء العشرة على وضع معجم عربي تعرّف فيه الألفاظ تعريفاً علمياً جامعاً مانعاً كما فى معجم لاروس الفرنسى . وليأذن لنا سموه أن نقول إنه يسيء الظن بهم العلماء من العرب . وإذا كان هؤلاء العشرة – غير مسمَّين – عاجزين عن وضع معجم عربي أفرنكى حديث ؛ فليس معنى هذا أنهم يعجزون عن وضع معجم عربي دقيق . فالأول عمل عظيم يحتاج إلى زمن طويل وصبر طويل وجهاد طويل ، أما الثانى فهو عمل يحتاج إلى قليل من الصبر و كثير

من التنظيم ... فإن واضعى المعجمات العربية – رحمهم الله وأحسن إليهم – كان ينقصهم كثير من « الفن النظامى » لوضع المعاجم .

إنى مع سمو الأمير الجليل فى أن معجماتنا القديمة لا تشتمل على كل اللغة ، ولا تعرف الألفاظ العلمية تعريفاً جامعاً . وهذا واضح لمن يبتلى منها كل يوم بهذا التعريف (نبات معروف) أو (حيوان معروف) . والله يعلم أنه مجهول إلى الأبد . . . وأزيد عليه أن معجماتنا رجراجة كالزئبق مطاطة كالكاوتشوك . فبعضها ينكر الفعل (ســدل) الثلاثى إنكاراً صريحاً ، وبعضها ينكر الفعل (أسدل) الرباعى إنكاراً صريحاً ويجيز (سدل) الثلاثى إجازة مطلقة والقارئ يقف متحيراً بين الاثنين ... ثم لا يسعه إلا أن يستعملهما معاً ، لأنهما صحيحان على التخريجين ... ومن هنا جاءت ظاهرة أسميها (الميوعة اللغوية) أو عدم التماسك . وهذا مشاهد لمن يعانى دراسة العربية أو تدريسها . ولعلى أوفق إلى الكتابة عن هذه الظاهرة فى الآتى من أعداد الرسالة الغراء .

محمد عبد الغنى حسن
أستاذ الأدب بالخديو اسماعيل

فى جمعية هواة الفنون الجميلة بالاسكندرية

ألقى الأستاذ الشاعر عثمان حلمى مساء الجمعة ٥ إبريل الجارى بصالة المحاضرات بجمعية هواة الفنون الجميلة محاضرة تناول فيها الحياة الأدبية فى الاسكندرية خلال ربع القرن الماضى وعرض لكل شاعر وأديب أنتج فى هذه الفترة نتاجاً أدبياً

وقد أعقب الأستاذ المحاضر نخبة من كبار الأدباء فى الثغر فأعلنوا رأيهم فى موضوع المحاضرة وملاحظاتهم على الأستاذ المحاضر فتكلم الأستاذ عبد اللطيف النشار عن الأدباء السكندريين الذين نزحوا إلى القاهرة معتبراً إياهم سكندريين برغم انتقالهم منها ، ومعتبراً أدبهم أدباً سكندريا أيضاً

وتبعه الأستاذ محمود عوض البحراوى فعرض لناحية أخرى من الموضوع إذ تكلم عن مدى تقدير عظماء الثغر وأغنيائه للأدب والأدباء محملاً إياهم تبعة ذلك الجمود الذى يلمس فى الحياة الأدبية السكندرية الآن . ثم تكلم الدكتور إسماعيل أدهم فعرض للموضوع من ناحية أخرى حاول أن يقرر بها أن العوامل التى ساعدت على ازدهار الأدب فى الثغر ليست عوامل محلية ، ولكنها عوامل خارجية أتت إليه من سوريا وغيرها من البلدان عن طريق النازحين إلى الاسكندرية من بلاد الشام

وقد حدثت بينه وبين الأستاذ البحراوى مناقشة شديدة فى هذا الصدد أعقبها الأستاذ النشار بكلمة أخرى دعا فى ختامها الدكتور أحمد زكى أبو شادى إلى الإدلاء برأيه فى الموضوع ، فتقدم الدكتور أبو شادى وعرض للمسألة فى أناة وهدوء ، ونوه بما لجو الإسكندرية من تأثير فى وجدان الشاعر ونفسه ، وذكر أشياء من خصائص الأستاذ عثمان حلمى كشاعر سكندرى ، ثم تكلم الأستاذ حسن كامل كلمة ختامية انتهت بها هذه المناقشات الحادة فى هذا الموضوع

وأعقب ذلك حفلة سمر اشترك فيها قسم الموسيقى بالجمعية ، وألقى بعض أدباء الثغر قصائد فى الربيع ، واختتمت الحفلة بالسلام الملكى .

تصويب

جاء فى مقال الأستاذ على الطنطاوى فى عدد الرسالة الممتاز هــذا التعبير « يستقرى رمال الدأماء » . فعجبت عجباً يستنفد كل العجب !

ذلك أن يخطئ الأستاذ فى معنى « الدأماء » وهو « البحر » فيضعها موضع بيداء أو دهناء ...

... وسبحان من تفرد بالعصمة والجلال ...

البصرة — محى الدين اسماعيل

بين أما ومهما

إلى الأستاذ الكبير مؤلف « النحو والنحاة »

أجمع النحويون فى إعراب « أما زيد فمنطلق » على تأويل « أما » بمهما يكن من شىء ، وإنما دعاهم إلى هذا وجود فاء الشرط فى الكلام ... وبحثوا عن فعل الشرط وأداته فلم يجدوهما فأولوا « أما » ، بمهما يكن من شىء ، وجعلوا جملة « فزيد منطلق » جواب الشرط ، وهذا تأويل لا غبار عليه من حيث تأدية المعنى

ولكن الذى لا يستساغ هو أن تكون « أما » الحرفية التى لا تركيب فيها كما يدعون دالة على هذا المحذوف كله

ورأيى أنّ أما ليست بسيطة وليست دالة على (مهما يكن من شىء كما زعم النحاة) وإنما هى أن الشرطة وما التى بمعنى

شيء ، وأصلها (أنْ ما) وأن بفتح الهمزة شرطية وهى (إن) المكسورة نفسها كما يرى الكوفيون ، ورجحه صاحب المغنى بأدلة هى فى غاية الوجاهة والقوة ، و (ما) نكرة تامة بمعنى شيء ... إلا أنه قد بقى أنَّ (أنْ) حرف شرط فلا يليها إلا فعل فأين هذا الفعل وكيف تقديره ؟

الجواب أن الفعل محذوف تقديره (كان) كما قدَّره النحاة فى (إن خيرٌ فخير) فقالوا التقدير (إن كان خير)

فتقدير (أمّا) ـ إن كان شيء ـ فكان تامّة فعل الشرط وشيء فاعلها، والجواب هو الجملة المقترنة بالفاء، فتقدير (أمّا زيد فمنطلق) إن كان شيء فزيد منطلق ، أى إن وُجد شيء فزيد منطلق

لقد وقف الأستاذ الكبير محمد عرفه من النحاة الأقدمين موقف الذّائد الحامى الذمار

فهل يظفرون بدفاعه البارع فى موقفى هذا الذى أتقدم جميعاً فيه . وإنى لمنتظر رأيه الفصل

محمود فرج العقده



المطبوعات العربية القديمة فى سنة ١٩٣٩

للأستاذ كوركيس عواد

ظفرتْ المؤلفات العربية القديمة فى سنة ١٩٣٨ بفوز كبير . فقد نُشِرَ منها خلالها طائفة حسنة ، لبعضها خطر وأهمية لا يقدران . ولا غرو أن تكون جهود العلماء والباحثين المبذولة فى سبيلها أثناء تلك السنة قد جاءت بفتح جديد فى مناحى الثقافة العربية ، فكشفتْ بعض مخبآتها وكنوزها ، تلك الكنوز التى ظلت طوال قرون عديدة بعيدة عن المطابع والانتشار ، منزوية فى بعض خزائن الكتب ، طامسة فى ظلام الإهمال والنسيان ... أجل ! كُتِبَ لتلك الكنوز أن تحيا حياة ثانية، وقدّر لها أن تلقى من إقبال العلماء والباحثين وعنايتهم ما يستحقون عليهما أوفر الشكر وأعطر الثناء ـــــ

ثم تلتْها سنة ١٩٣٩ ، فأصابت المطبوعات العربية القديمة فى أثنائها حظاً حسناً ونالت حركة لا بأس بها؛ غير أنها لم تكن لتجارى حركة السنة التى تقدمتها . ولعل أوضح الأسباب لهذا التناقص ما كان ناجماً عن الأحوال السياسية المضطربة التى أحاطت بكل المرافق ، وأحدقت بجميع المشاريع والأعمال ، وبضمنها حركة النشر كما لا يخفى ...

ولقد خطر لنا أن نتتبع ما نشرته المطابع من هذه الكتب العربية القديمة خلال السنة المنصرمة ، أعنى بها سنة ١٩٣٩ ، فإذا نحن أمام جملة نفيسة منها، تبلغ فى عدّها نحو خمسة وثلاثين كتاباً، بينها ما يتكون من مجلد واحد، وبينها ما يتكون من بضعة مجلدات، كما أن بينها عدداً آخر يكمل مجموعات أو ينتظم فى سلسلة نشرت بعض حلقاتها فى سنين ماضية والعمل على إصدار بقيتها لا يزال مستمراً

ونحن على يقين أنه فاتنا من هذه الكتب طائفة ، قد تكون غير قليلة ، منها ما نشر فى المغرب أو فى إيران أو فى الهند أو فى غيرها من الأقطار . ولعل لنا فى ذلك بعض العذر : فإن كثيراً من المطابع أو المكتبات أو شركات النشر فى البلدان الشرقية تفرّط أشد التفريط فى إصدار الفهارس المفصحة عن الكتب ، ونشر القوائم التى تفى بالمرام وترشد القارئ ، من حين إلى حين ، إلى ما يصدر من تلك المطبوعات فتُيسِّر له طريق الحصول عليها فالانتفاع منها

وعلى ذكر هذ أقول : إن شركات الكتب فى البلدان الغربية قد قطعت شوطاً بعيداً فى هذا المضمار وأمعنت فى تحسين عملها وتنظيمه ، فلا يكاد يصدر كتاب من الكتب حتى ترى الإعلانات عنه توزع بجد واهتمام على كل الجهات والأوساط التى يُنتظَر منها أن تهتم له ، وترى قوائم الكتب قد أتت على ذكره مبيِّنة أهم أوصافه ، فيقف متصفحها على شيء من أمر هذا الكتاب . وقد يتكرر الإعلان عن الكتاب الواحد ، فيأخذ أشكالاً وأساليب مختلفة ، فإن لم يصب أحدها المرمى من نشره ، فقد يكون من رفيقه ما يؤدى المطلوب ... !

هذا من الوجهة التجارية . وهناك فى هذا السبيل ناحية علمية محترمة تسمو على هذه الناحية : فقد يعمد بعض العلماء إلى حصر ما نشر فى منحى من مناحى البحث والتفكير فى أوقات معينة أو غير معينة ، فيقفون القراء ، بأيسر الطرق وأوضحها ، على ما ظهر فى العلم الفلانى أو الفن الفلانى من المطبوعات التى لا تقتصر

على الكتب فحسب ، بل تتعداها إلى الرسائل والمقالات أيضاً . وعلى هذا الوجه ينيرون السبيل أمام هؤلاء القراء

وما لنا نذهب بعيداً ، وأمامنا الآن ثلاثة أجزاء من نشرة سنوية جزيلة الفائدة يصدرها المستشرق ماير L. A. Mayer بمؤازرة جمهرة من أرباب البحث ، بعنوان « حولية منشورات الفن والآثار الإسلامية » Annual Bibliography of Islamic Art and Archaeology وها هو ذا قد أصدر مؤخراً نشرة شبيهة بتلك ، غير أنها تتعلق بالكتب أو المقالات التي ظهرت في فرع « المسكوكات الإسلامية » ، وهي لعمري خدمة تذكر فتشكر. ومثل هذا شيء كثير يصدر في بلاد الغرب، ونحن عن مثله منصرفون !

فمتى يا ترى نجد بيننا من ذوي الاختصاص ، من يتقدم إلى زملائه ، من وقت لآخر ، بتصنيف مثل هذه النشرات التي من شأنها أن تفتح أمامهم مسالك البحث ، وتذلل لهم بعض العقبات ، وتجعلهم على علم بما ينشر في الفرع الذي يشتغلون به

وفيما يلي ثبت موجز بالكتب العربية القديمة التي ظهرت في سنة ١٩٣٩ ، وهو كل ما استطعنا الوقوف عليه . وقد كان بودنا أن نصنفها بحسب موضوعاتها، كما هو الأصلح في مثل هذه الشؤون ، غير أنها لما كانت قليلة العدد آثرنا أن نرتبها بحسب تسلسل عنواناتها، مع الإشارة إلى سنة وفاة مؤلفها ما أمكن (١)

١ — الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة : لبدر الدين الزركشي (٧٩٤هـ) . نشره الأستاذ سعيد الأفغاني (المطبعة الهاشمية ـ دمشق ، ٢٢٨ ص)

٢ — الأحكام السلطانية : لأبي يعلى الحنبلي (٤٥٨هـ) . نشره الأستاذ محمد حامد الفقي (مطبعة مصطفى الحلبي ـ القاهرة، ٢٩٢ ص)

٣ — أزهار الرياض في أخبار عياض : للمقري (١٠٤١ هـ . نشره الأساتذة مصطفى السقا وابراهيم الأبياري وعبدالحفيظ شلبي (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ القاهرة، ح + ٣٧١ص)

٤ — أسرار البلاغة والبيان : لعبد القاهر الجرجاني (٤٧١ هـ) . نشرته ثانية مطبعة دار المنار — القاهرة بتصحيح الشيخ محمد رشيد رضا والشيخ الشنقيطي (٣٦٨ص)

٥ — الأغاني : لأبي الفرج الأصفهاني (٣٥٦ هـ) . المجلد العاشر ، نشرته دار الكتب المصرية في القاهرة ، وهو كسابق أجزائه من حيث العناية بالتعاليق والفهارس (المجلدات ١ — ٩ ظهرت خلال ١٩٢٧ — ١٩٣٦ ، والكتاب لما ينته)

٦ — الإمتاع والمؤانسة : لأبي حيان التوحيدي (٤٠٠ هـ) الجزء الأول . نشره الأستاذان أحمد أمين وأحمد الزين (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر — القاهرة)

٧ — أنساب القبائل العراقية: للسيد مهدي القزويني الحسيني (١٣٠٠) . نشرته المكتبة المرتضوية بالنجف [العراق] (٩٠ ص)

٨ — البداية والنهاية في التاريخ : لابن كثير (٧٧٤ هـ) المجلد العاشر ، مطبعة السعادة — القاهرة (المجلدات ١ — ٩ ظهرت قبل هذا ، والكتاب لما ينته)

٩ — البلدان لابن واضح اليعقوبي (المتوفى بعد سنة ٢٩٢هـ) نشرته المكتبة المرتضوية بالنجف ، ١٣٢ ص

١٠ — بلوغ المرام في شرح مسك الختام فيمن تولى ملك اليمن من ملك وإمام : للقاضي حسين بن أحمد العرشي (المتوفى بعد سنة ١٣٣٠ هـ) . نشره العلامة الأب أنستاس ماري الكرملي ، مع حواش ، وملاحق ، وفهارس ، ومقدمة بالفرنسية (مطبعة البرتيري ـ القاهرة ، د + ٤٤٢ ص)

١١ — بيان مذهب الباطنية وبطلانه (منقول من كتاب عقائد آل محمد) لمحمد بن الحسن الديلمي (ألف كتابه سنة ٧٠٧هـ) نشره المستشرق شتروطمان (R. Strothmann) مطبعة الدولة ـ استانبول ، يه + ١٣٧ ص (النشريات الإسلامية لجمعية المستشرقين الألمانية ، رقم ١١)

١٢ — تاريخ ابن الفرات : لناصر الدين محمد بن عبد الرحيم ابن الفرات (٨٠٧ هـ) . المجلد الثامن ، نشره الدكتور قسطنطين زريق والدكتورة نجلا عز الدين (المطبعة الأميركية ـ بيروت ، ٢٨٤ ص . في هذا المجلد حوادث السنين ٦٨٣ ـ ٦٩٦ هـ . المجلد التاسع منه نشر في قسمين سنة ١٩٣٦ ـ ١٩٣٨ ، فيهما حوادث السنين ٧٨٩ ـ ٧٩٩ هـ)

١٣ — تاريخ الطبري : لابن جرير الطبري (٣١٠ هـ) نشره محيي الدين عبدالحميد (٨ مجلدات، مطبعة مصطفى محمد ـ القاهرة)

١٤ — تاريخ اليعقوبي : لليعقوبي (المذكور في رقم ٩) . نشرته المكتبة المرتضوية بالنجف (٣ أجزاء ، ٧١٧ ص)

١٥ — التبصير في الدين : لأبي المظفر طاهر بن محمد

(١) وضعنا بين قوسين سنة وفاة المؤلف ، كما وضعنا « ص » بدلا من « صفحة » .

الاسفرائيني . نشره الأستاذ محمد سليم النعيمي (مطبعة النهضة بنهج باب السعدون — تونس ، ١٨٤ ص)

١٦ — الحيوان : للجاحظ (٢٥٥ هـ) . المجلد الثالث ، نشره الأستاذ عبد السلام محمد هارون ، بتعاليق وشروح وفهارس (مطبعة مصطفى الحلبي ـ القاهرة ، ٥٨٤ ص . المجلد الأول والثاني صَدَرا سنة ١٩٣٨ ، والكتاب لما ينته)

١٧ — ديوان ابن الساعاتي : لبهاء الدين أبي الحسن علي ابن الساعاتي (٦٠٤ هـ) . الجزء الثاني ، نشره الأستاذ أنيس الخوري المقدسي (المطبعة الأمريكية — بيروت ، ٤٣٧ ص . المجلد الأول صدر سنة ١٩٣٨)

١٨ — رحلة ابن الفقيه إلى نهر الفلجا : لابن الفقيه الهمذاني (المتوفى في أواخر القرن الثالث للهجرة) نشرها على الأصل المستشرق كراتشكوفسكي I. Kratchkovsky في ليدن مع ترجمة ومقدمة وشروح وتعاليق بالروسية . كما أن فهارس الشروح موضوعة بالروسية والعربية

١٩ — رسالة موسيقية : لمؤلف مجهول (قدمها إلى السلطان العثماني محمد الثاني ، الذي حكم أثناء ٨٥٥ — ٨٨٦ هـ) . ترجمها ديرلانجه Baron Rodolphe D'Erlanger إلى الفرنسية ونشر هذه الترجمة (دون النص العربي) في الصفحة ١ — ٢٥٥ من المجلد الرابع من مجموعة في الموسيقى العربي La Musique Arabe المطبوع في باريس لدى الكتبي بول غوتنر

٢٠ — السلوك لمعرفة دول الملوك : للمقريزي (٨٤٥ هـ) . القسم الثالث من الجزء الأول ، نشره الدكتور محمد مصطفى زيادة مع تعاليق وملاحق وفهارس كلها في غاية الدقة والفائدة (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر — القاهرة ، ٥٣٢ ص . في هذا القسم أخبار السنين ٦٧٨ـ٧٠٣ هـ . أما القسمان الأول والثاني من الجزء الأول فقد صدرا في سنة ١٩٣٤ـ١٩٣٦ والكتاب لما ينته)

٢١ - سيرة أحمد بن طولون: لأبي محمد عبدالله بن محمد المديني البلوي (ألّف كتابه بعد سنة ٣١٢ هـ) نشره الأستاذ محمد كرد علي مع تعاليق وفهارس (المكتبة العربية ـ دمشق ، ٤٠٠ ص)

٢٢ — صورة الأرض : لابن حوقل (ألفه سنة ٣٦٧ هـ) القسم الثاني نشره المستشرق كريمرز J. H. Kramers . (مطبعة بريل — ليدن ، ٢٨٠ ص . القسم الأول ظهر سنة ١٩٣٨ ، وسيتلوهما الثالث وبه يتم الكتاب . وكان المستشرق دي غويه De Goeje قد نشر هذا الكتاب في ليدن سنة ١٨٧٣ بعنوان « المسالك والممالك » وهو المجلد الثاني من « المكتبة الجغرافية العربية » . إن طبعة كريمرز هي « الثانية » باعتبار طبعة دي غويه كانت الأولى)

٢٣ — طبقات الشعراء في مدح الخلفاء والوزراء : لعبد الله ابن المعتز (٢٩٦ هـ) . نشره الأستاذ عباس إقبال ، على الأصل ، مع مقدمة بالفرنسية (كمبردج ، ٢٢٦ + 55 + XXXII ص ، مجموعة تذكار جب ، السلسلة الجديدة ، رقم ١٣)

٢٤ — عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب : لابن عنبة [وقيل : ابن عنبسة] الحسني (٨٢٨ هـ) . نشرته المكتبة المرتضوية في النجف . ١٢ + ٣٧٠ ص)

٢٥ — الفتحية في علم الموسيقى : لمحمد بن عبد الحميد اللاذقي (قدّمها إلى السلطان العثماني بايزيد الثاني الذي حكم أثناء ٨٨٦ـ ٩١٨ هـ) . ترجمها ديرلانجه إلى الفرنسية ، ونَشَرَ الترجمة هذه (دون النص العربي) في الصفحة ٢٥٧ ـ ٤٩٨ من المجلد الرابع من مجموعه في الموسيقى العربي (المذكور في رقم ٢٠)

٢٦ — كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة : لابن أبي الفضائل الحمادي اليماني (من أهل القرن الخامس للهجرة) . نشره الأستاذ عزة العطار مع مقدمة للشيخ محمد زاهد الكوثري (مطبعة الأنوار — القاهرة ، ٤٤ ص)

٢٧ — اللباب في تهذيب الأنساب : لعز الدين بن الأثير (٦٣٠هـ) الجزء الأول ، نشرته مكتبة القدسي بالقاهرة، ٥٩١ ص

٢٨ — لسان العرب : لابن منظور (٧١١ هـ) . الجزء الخامس . نشره الأستاذ عبد الله اسماعيل الصاوي (مطبعة الصاوي — القاهرة ، ١٨٠ ص . المجلدات ١ — ٤ صدرت قبل هذا ، والكتاب لما ينته)

٢٩ — المجازات النبوية : للشريف الرضي (٤٠٦ هـ) . نشره الأستاذ محمود مصطفى (مطبعة مصطفى الحلبي — القاهرة ٣٤ ص)

٣٠ — المستجاد من فعلات الأجواد : للمحسن التنوخي (٣٨٤ هـ . نشره المستشرق بولي v. Leo Pauly دراسات بنر Bonner الشرقية ، رقم ٢٣ (٢٦ + ٢١٣ ص)

٣١ — النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة : لابن تغري بردي (٨٧٤ هـ) . المجلد السابع ، نشرته دار الكتب المصرية

بالقاهرة ، ٤٦٦ ص (المجلدات ١ ـ ٦ صدرت خلال ١٩٢٩ ـ ١٩٣٦ ، والكتاب لما ينته)

٣٢ — نخب الذخائر في أحوال الجواهر : لابن الأكفاني السنجاري (٧٤٩ هـ) . نشره العلامة الأب أنستاس ماري الكرملي ، مع تعاليق وملاحق وفهارس ومقدمة بالفرنسية (المطبعة العصرية القاهرة ، ١٨٨ ص)

٣٣ — نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب : للمقّري (أنظر رقم ٣) . المجلد العاشر ، نشره الدكتور أحمد فريد رفاعي ، بتعاليق الأستاذ يوسف نجاتي ، مع الفهارس . القاهرة (المجلدات ١ — ٩ ظهرت قبل هذا ، والكتاب لمّا ينته)

٣٤ — النقود العربية وعلم النُّميّات : هي مجموعة رسائل عربية في هذا الموضوع ، نشرها العلامة الأب أنستاس ماري الكرملي ، مع تعاليق وملاحق وفهارس ومقدمة بالفرنسية . (المطبعة العصرية ـ القاهرة، ٥٢٩ص) تتألف هذه المجموعة من:

(١) كتاب النقود : للبلاذري (٢٧٩ هـ) . وهو فصل من كتابه « فتوح البلدان »

(٢) كتاب النقود القديمة الإسلامية : للمقريزي (أنظر رقم ٢١) وهي الرسالة التي طبعت سابقاً غير مرة بعنوان « شذور العقود في ذكر النقود »

(٣) تحرير الدرهم والمثقال والرطل والمكيال ، وبيان مقادير النقود المتداولة بمصر على مقتضى ماحدد بدار الضرب سنة ١٢٥٦هـ لمصطفى الذهبي الشافعي (من أهل القرن الثالث عشر للهجرة)

(٤) أقوال ابن خلدون (٨٠٨ هـ) في النقود الإسلامية (نقلاً عن « مقدمة ابن خلدون »)

(٥) أقوال القلقشندي (٨٢١ هـ) في النقود الإسلامية (نقلاً عن كتابه « صبح الأعشى »)

٣٥ — نهاية الأرب في فنون الأدب : للنويري (٧٣٢ هـ) المجلد الثالث عشر ، نشرته دار الكتب المصرية بالقاهرة ، ٢٧٧ ص (المجلدات ١ ـ ١٢ صدرت خلال ١٩٢٣ ـ ١٩٣٧ والكتاب لما ينته)

***

هذا ما تيسر الوقوف عليه ، وكان بودنا أن نذكر في هذا المقام بضعة كتب أخرى اطلعنا على أسمائها في بعض القوائم أو المجلات ، غير أنه لم يتيسر لدى الكلام عليها هنا لك إلى سنة صدورها ، مما جعلنا في ريبة من صحة نسبتها إلى سنة ١٩٣٩ ؛ ولما لم تصل إليها يدنا في الوقت الحاضر ، فقد اضطررنا إلى تركها على غير رغبة منا . ولعل بين القراء الأفاضل من يقوم بإكمال ما فاتنا منها أو ما لم يتأتّ لنا الوقوف عليه ، وله منّا أبلغ الشكر

« بغداد » كوركيس عواد

يانكتسه

فليتأمل الناس ما شاؤا فيما تسميه اليابان حدثا بسيطا وبما يسميه باقي العالم حربا فالجيشان لهما عدو مشترك يمكنه أن يوقع بلية في اليابان .

إذا عمل الصينيون على فيضان أهم أنهرهم الذى وضعت له الحواجز منذ أجيال فكل طبيب يستطيع أن يتنبأ بما يحدث فقد حدث ذلك وقد صارت النتائج التي ظهرت حتى الآن كبيرة الأهمية .

فان مئات الفراسخ المربعة من الأرض قد أصابها الفيضان في بقعة كانت مظاهر الملاريا فيها عادية ولا يعني بذلك أنها لم تكن مرتفعة ولكن المرض أى الملاريا في الوقت الحاضر لم تكن متفشية بحالة وبائية وبنسبة كبرى فالكينا تمثل الدواء الوحيد والواسطة الوحيدة للوقاية في المعالجة الاجمالية للجيوش كما تبين ذلك في الحبشة فاما يستعملها الجيشان المتناظران واما يفعل فيهما المرض فعله التدريج ويظهر أن ذلك قد بدأ الآن .

فالنساء الصينيات في نيويورك قد جمعن مالا كي يستطعن تحضير طنين ونصف من الكينا لمواطنيهن . ففي كل محل صيني الغسيل توجد علبة لتلقي دريهمات الأمريكيين المحبذين . وكمية ٤٠ سنتجرام من الكينا يوميا ضرورية لوقاية جندى من الملاريا واليانكتسة يتكاثر دائما . فمعالجة الملاريا تقتضى يوميا مقدار جرام واحد أو جرام وثلاثين سنتجرام من الكينا مدة خمسة أو سبعة أيام كما تشير بذلك لجنة الملاريا في جمعية الأمم .